الباب الأول

مدرسة الكوفة النحوية

obeikandl.com

obeikandl.com

الفصل الأول

نشأتها

- ١ -

ومدرسة الكوفة النحوية حديثة العهد بالنشوء إذا قيست بمدرسة البصرة النحوية ، فقد سبقت البصرة الكوفة بهذه الدراسة التي كانت عملا من الاعمال القرآنية ، ثم اخذت تستقل شيئاً فشيئاً حتى اصبح موضوع دراستها : الكلام العربي ، سواء أكان قرآناً ام غير قرآن ، وسواء أكان شعراً أم نثراً وظلت البصرة تقوم بعبء هذا العمل زمناً طويلا .

وكانت الاتصالات بين الكوفة والبصرة مستمرة منذ تمصيرها ، وكان التجاوب بينهما قائماً ، فلم يحدث شيء في البصرة الا وجدت صداه في الكوفة وما عرف شيء في الكوفة الا رأيت آثاره في البصرة ، وكان الانتقال من مصر الى مصر ميسراً للذين يرغبون فيه ، وربما اتخذ الكوفيون المغضوب عليهم من البصرة مستقراً ، هرباً من السلطان ، واستتاراً من عيونه ، كما فعل سفيان الثوري وغيره .

وربما اتخذ بصريون من الكوفة مستقراً ومقاماً ايضاً ، لان الكوفة - فضلا عن انها كانت مركزاً سياسياً للامصار الشرقية فترة طويلة من الزمن - كانت مركز الفقه والحديث والقراءة ، ورواية الشعر والادب ، فليس غريباً إذن أن تنتقل هذه الدراسة من البصرة الى الكوفة ، إما بواسطة الذين شدوا الرحال

من الكوفة الى البصرة طلباً للعلم ، ثم رجعوا الى الكوفة ، وإما بواسطة الذين هاجروا من البصرة ليتخذوا من الكوفة دار إقامة ،

وكان التنافس بين هذين المصرين شديداً ، والخلاف محتدماً من عدة نواح ، من الناحية الحزبية ، فالكوفة - كما قلنا - علوية والبصرة عثمانية . ومن الناحية العنصرية ، فأكثر أهل الكوفة من اليمانيين ، وأكثر أهل البصرة من المضريين . ومن الناحية العلمية ، فأهل الكوفة أصحاب فقه وحديث وقراءة ، واهل البصرة اصحاب علوم وفلسفات ، لانهم أكثر اختلاطاً بالاجانب من أهل الكوفة ، وأكثر حرية في اعتناق المذاهب المختلفة ، واسرع الى الاخذ من الثقافات الاجنبية ، لتوافر مصادرها عندهم ، وكثرة انتقالاتهم للكسب والتجارة

والكوفة - مع ضعف الاتصال بين عناصرها العربية وعناصرها الاجنبية اكثر تحرجاً من اهل البصرة في الاخذ بثقافات الاجانب لكثرة من فيها من الصحابة والتابعين ، ومن الفقهاء واهل الدين .

هذه العوامل احكمت اسباب الاختلاف والتنافس بين المصرين ، فكان من نتائج هذا التنافس أن كانوا يتناظرون في مجالس الخلفاء ، حين تجتمع وفودهم في دواوينهم ، وكان الخلفاء يستمتعون بهذا النوع من المناظرات ، وربما ظاهروا فريقاً على فريق لاسباب تدعوهم إلى ذلك .

وتناولت هذه المناظرات نواحي عدة ، ومن بينها الناحية الثقافية ومن هذه الناحية مناظراتهم في النحو . وكان التنافس بين نحاة الكوفة ونحاة البصرة شديداً في عهد الكسائي وسيبويه . وربما رجع الدارسون بالتنافس الى ماقبل عهدهما ، فقد ذكر الاستاذ احمد أمين : أن الخلاف بدأ هادئا بين الرواسي في الكوفة ، والخليل في البصرة ، ثم اشتد بين الكسائي في الكوفة وسيبويه في البصرة . (١)

---

(١) أحمد أمين : ضحى الاسلام ، ج ٢ ص ٢٩٤ .

غير اننا نرجح أن التنافس بين نحاة البصرة والكوفة لا وجود له في عهد الخليل وابي جعفر فلم يكن ابو جعفر الا بصرياً كما قيل ، او تعلم على معاهد البصرة ولم يكن بالنحوي الذين تحمله قدماء امام الخليل . وربما كان الزعم القائل بان لأبي جعفر الرواسي كتاباً في النحو اطلع الخليل عليه ، وانتفع به [١] هو الذي حمل الاستاذ احمد امين - كما حمل غيره - ان يقول بهذا التنافس بين الرجلين

وأكبر الظن ان التنافس بين نحاة المصرين إنما ظهر في عهد الكسائي وسيبويه بعد وفاة الخليل وكان هناك من الاسباب ما حمل الكسائي على مخاصمة سيبويه وأقواها خوفه ان يتقرب سيبويه او غيره من البصريين من السلطان فيفقد الحظوة لديه كما سنشير اليه .

— ٢ —

بداية المدرسة الكوفية عند القدماء

تبدأ المدرسة الكوفية عند القدماء بأبي جعفر الرواسي ، وكان أبو جعفر هذا قد أخذ النحو عن ابي عمرو بن العلاء ، وعيسى بن عمر الثقفي ، فهو في نظرهم بمنزلة الخليل في البصرة ، لانهما متعاصران وان كلا منهما اخذ العربية عن الشيوخ الذين اخذ عنهم الآخر ، لان الخليل اخذ ايضاً عن ابي عمرو بن العلاء وعيسى بن عمر .

وصنف الزبيدي في طبقاته نحاة الكوفة طبقات ، جعل في الطبقة الاولى ابا جعفر الرواسي ومعاذ بن مسلم الهراء ، وهكذا فعل غيره من اصحاب الطبقات كأبي البركات بن الانباري وابن خلكان وابن النديم ، وياقوت .

وفي ضحى الاسلام جدول اخذه الاستاذ عن كتاب *Arabic Grammar* بعد ان زاد فيه بعض الزيادات واصلح فيه بعض التواريخ كما قال في هامش

---

(١) نزهة الألباء ص ٦٦ .

ص٢٨٤ من الجزء الثامن من ضحى الاسلام . وفى هذا الجدول جعل الاستاذ اباجعفر الرواسى رأس المدرسة الكوفية ، واول من الف في النحو من الكوفيين وقد تلمذ له الكسائي والفراء ، وجعله نظير الخليل ، كما جعل الكسائي والفراء نظير سيبويه .

وذهب « أولبري » الى مثل ما ذهب اليه القدماء ايضاً فقد زعم « انه بعد قرن من الزمان تقريباً (اي بعد قرن من نشأة النحو في البصرة) بدأ أبو مسلم معاذ الهراء (توفى سنة ٧٢٣ او ٧٢٧ م) في الكوفة بالقاء دروس في قواعد النحو مشابهة لما كان يلقى فى البصرة وكان في الوقت عينه مؤدب اولاد عبد الملك (١) . .

ولكننا لانرى هذا الرأي ولانعلم ان كوفياً كان نحوياً بالمعنى الدقيق لهذه الكلمة قبل الكسائى ، فلا معاذالهراء ولا أبو جعفر الرواسى ممن نضعهم في طبقة المؤسسين لهذه المدرسة النحوية الناشئة . ولم نسمع أن احداً من الكوفيين تخرج بهما واكتفى بما تلقاه عنهما وعرف بنحو خاص استمده منهما لاينتمى الى نحو اهل البصرة والكسائي والفراء - وهما عماد المدرسة الكوفية - انما عرفا النحو الاصطلاحى بدراستهما نحو البصرة وتخرجهما بشيوخ بصريين .

ولعل مما يؤيدنا في زعمنا هذا ان « بروكلمان » حين عرض لهذا الجانب من موضوع نشأة المدرستين النحويتين وبعد ان ذكر الخليل وسيبويه ثم انتهى بهذا تناوله لمدرسة البصرة - قال : « وكان ينافس سيبويه في علم النحو احد قراء القرآن السبعه : الكسائى الكوفى الذى سبق له ان علم الرشيد نفسه ، ثم عهد اليه الرشيد في تأديب ولده الامين (٢) ولم يشر الى نحويين قبله كما فعل غيره من قدماء ومحدثين .

---

(1) *Oleary , How Greek science Passed to The Arabs , P 144*

(٢) بروكلمان : تاريخ الشعوب الاسلامية ، ج ٢ ص ٢٨ « بيروت » .

ويخيل إليّ ان النحويين على اختلاف طبقاتهم ومدارسهم إنما استمدوا النحو من البصرة ومن علم الخليل المتمثل في كتاب سيبويه خاصة ، لافرق في ذلك بين كوفي وبصري وبغدادي .

اما البصريون فهم انما انتسبوا للمدرسة البصرية عن طريق كتاب سيبويه والتلمذة له فقد برعوا الكتاب وأعجبوا به غاية الاعجاب ، وكان قائلهم يقول : « من اراد ان يعمل كتاباً كبيراً في النحو بعد كتاب سيبويه فليستحي » وكان المبرد اذا اراد انسان ان يقرأ عليه كتاب سيبويه - يقول له : هل ركبت البحر تعظيماً له ، واستصعاباً لما فيه . (١) .

وكان أول من أقرأ الكتاب ابو الحسن سعيد بن مسعدة الاخفش قرأه عليه ابو عمر الجرمي وابو عثمان المازني(٢) وجاء المبرد فقرأ الكتاب على الجرمي والمازني واقرأه المبرد بعد ذلك أصحابه وتلاميذه ، ومنهم ابن درستويه ، وعلق عليه بالشرح والتفسير .

ثم تعاقبت عليه الشروح بعد ذلك ، فقد شرحه بعد المبرد علي بن سليمان الاخفش الاصغر المتوفى سنة ٣١٥ وابن السراج المتوفى سنة ٣١٦ هـ والرماني المتوفى سنة ٣٤٨ هـ وأبو سعيد السيرافي المتوفى سنة ٣٦٨ هـ والزمخشري وابن الحاجب ، وابو العلاء المعري وغيرهم (٣)

فالكتاب هو قوام المدرسة البصرية ، ومحور نشاطها ، وهو مادة علم البصريين واكثر ما جاءوا به انهم كانوا يزيدون عليه شرحاً وتفسيراً ، وزيادات اخرى يستدركون بها مافات سيبويه او يؤيدون بها رأياً من آرائه .

---

(١) فهرست ابن النديم ص ٧٧ ، نزهة الألباء ص ٧٥ ، أخبار النحويين البصريين ص ٥ .

(٢) نزهة الألباء ص ١٩٨ - ١٩٩ .

(٣) دائرة المعارف الاسلامية - مادة « سيبويه » .

وأما الكوفيون فليست عنايتهم بالكتاب بأقل من عناية البصريين ، إلا أنهم كانوا يقفون منه في أغلب الأحيان موقف الناقد ، وكانوا يستمدون منه أيضاً مادة درسهم الأولى ، وان كانوا يخفون ذلك بدافع من العصبية .

وشيوخهم الأولون أنما تخرجوا به ، وفي مقدمتهم الكسائي والفراء . أما الكسائي فقد درسه على أبي الحسن سعيد بن مسعدة الاخفش (١) ، وذلك - في اكبر الظن - بعد ذهاب الاخفش إلى بغداد ، واتصاله بالكسائي ، ومصاحبته اياه بعد أن ناظره ، وخطأه في جميع ما اجاب به عن مسائله في قضية ذكرها الزبيدي في طبقاته عند الكلام عن سيبويه . وأما الفراء فقد درسه أيضاً ، حتى لقد وجد بعضه تحت وسادته التي كان يجلس عليها ، كما جاء في حكاية أبي جعفر النحاس . (٢)

وجاء في دائرة المعارف الاسلامية : أن النسخة التي اهداها الجاحظ للوزير ابن الخياط كانت بخط الفراء ، وقصة الاهداء هذه ذكرها أبو البركات بن الانباري ، ولكنه لم يقل إنها كانت بخط الفراء ، ولم يكن الوزير هو ابن الخياط ، بل هو محمد بن عبد الملك الزيات . (٣)

وأما البغداديون فقد أخذوا عن البصريين والكوفيين ، ومادة الدرس عند هؤلاء وهؤلاء إنما هو النحو البصري المتمثل في كتاب سيبويه ، وكل ما في الأمر أنهم خلطوا أقوال هؤلاء وهؤلاء . وانتخبوا من هؤلاء وهؤلاء ، ويسر لهم هذا أن بغداد كانت مقصد البصريين والكوفيين جميعاً لانها عاصمة الخلافة الاسلامية وموطن الاعمال واكتساب الرزق ، فكان يفد عليها بصريون وكوفيون وغيرهم من أهل سائر الامصار ، فلما اجتمعت هذه العناصر في صعيد

---

(١) نزهة الألباء ص ١٨٦ .

(٢) الزبيدي : طبقات النحويين - « سيبويه » .

(٣) نزهة الألباء ص ٧٤ .

بغداد ، وانحاز الى كل فريق تلاميذ ، واصحاب ، وجد من هؤلاء التلاميذ من لم يقصر الاخذ على بصري وحده ، وانما كان يأخذ عن هذا ، ويرجع الى ذاك . ومن البغداديين ناس كثيرون درسوا النحويين ، وتخرجوا في المدرستين

فليس المذهب البغدادي إذن الا مذهباً انتخابياً ، فيه الخصائص المنهجية للمدرستين جميعاً ، على نحو ما فعل ابن مالك في محاولته الجمع بين المذهبين ، وانتهاجه منهجاً وسطاً بينهما « فان مذهب الكوفيين القياس على الشاذ ، ومذهب البصريين اتباع التأويلات البعيدة التي خالفها الظاهر ، وابن مالك يحكم بوقوع ذلك من غير حكم عليه بقياس ولا تأويل . بل يقول إنه شاذ أو ضرورة ، كقوله في تقديم التمييز على الفعل المتصرف

والفعل ذو التصريف نزرا سبقا

وقوله في مد المقصور :

« والعكس في شعر يقع »

قال ابن هشام : « وهذه الطريقة طريقة المحققين ، وهي أحسن الطريقين » . (١)

والذين خلطوا المذهبين كثيرون ، ذكرهم أصحاب الطبقات ، فذكر الزبيدي جماعة كبيرة عدتهم واحد واربعون نحوياً ، أولهم : ابن قتيبة أبو محمد عبدالله بن مسلم الكوفي الدينوري (توفي سنة سبعين ومائتين للهجرة) ، آخرهم : ابن خالويه أبو عبدالله الحسين بن أحمد بن خالويه (توفي سنة سبعين وثلاث مائة للهجرة) .

وعقد ابن النديم في الفهرست مقالة في أخبار العلماء ، واسماء ما صنفوه من الكتب ، وذكر فيها أسماء جماعة من النحويين واللغويين ، ممن خلط المذهبين

---

(١) السيوطي الاقتراح ، ص ٨٦ .

واخبارهم ، ذكر في مقدمتهم: ابن قتيبة وذكر منهم أبا حنيفة الدينوري ، صاحب الاخبار الطوال ، والسكري أبا سعيد الحسن بن الحسين ، وابن كيسان ، وابا بكر بن شقير ، ونفطويه ، وابن خالويه ، وغيرهم ، كما فعل الزبيدي .

* * *

ويخيل الى الدارس أن النحو وقف من حيث ابتدأ نضجه ، ولم يتح له النمو أو التطور بعد الخليل وسيبويه ، والكسائي والفراء . وكان كل هم الدارسين أن يوضحوا ما انبهم من عباراتهم في كتبهم ويفسروا الشواهد وان يندفعوا نحو المنطق للاستزادة من تطفله على النحو في اثناء محاولاتهم تطبيق أصوله على أصول النحو وصبغ القضايا اللغوية النحوية بالصبغة الفلسفية المحضة .

ولعل خير ما يقال في تعليل هذه الظاهرة التي طرأت على النحو بعد هؤلاء أعني جموده على ماجنته الدراسات من ثمرات على يد الخليل وتلاميذه هو :

أن مادة الدرس للدارسين بعد هؤلاء انما هي ما جاء في كتاب سيبويه ، وما رووه عن الشيوخ الاولين ، ممن هم في طبقة الخليل وتلاميـــذه ، الذين لازموه وصاحبوه .

فمادة الدرس عند الكوفيين كتاب سيبويه وما رووه عن أساتيذهم والفراء وأبي عمرو الشيباني وغيرهم من الكوفيين .

ومادة علم البصريين هو كتاب سيبويه أيضاً وما رووه عن شيوخهم ممن ذكرنا وغيرهم ولم يرووا عن كوفيين .

أما النحاة الاولون وهم شيوخ المدرستين ومؤسسوها وفى مقدمتهم الخليل ابن أحمد وعلي بن حمزة الكسائى فمادتهم اوسع دائرة واكثر حياة وهي :

١ — هذه المرويات الضخمة التي عني بجمعها الرواة الاولون كأبى عمرو ابن العلاء وابى عبيدة والاصمعي وغيرهم من البصريين والمفضل الضبي وحماد الروايه وغيرهما من الكوفيين هذه المرويات التي هيأت للدارسين الاولين مواد

دراساتهم سواء أكان منها ما يتصل بالادب أم ما يتصل باللغة

٢ — وهؤلاء الرواة الذين كانوا يقصدون الى الكوفة والبصرة ويتصلون بالعلماء الذين كانوا يعنون بالاتصال بهم والاخذ عنهم .

٣ - ثم هذه البوادى العربية ، التى كانت تزخر بالفصاحة ، وبالاعراب الذين لم تشب لغاتهم ولهجاتهم شائبة من عجمة ، وفى طليعتها بوادى نجد والحجاز وتهامة ، التى استقى الخليل بن أحمد علمه منها ، كما قال الخليل للكسائي ، حين سأله هذا عن المصادر التى أخذ علمه منها ، والتى شد الكسائي الرحال اليها فقضى بين أعرابها زمناً طويلا ، كان يكتب ما يسمعه منهم ، حتى أنفد فى كتابة ذلك خمس عشرة قنينه حبر ، سوى ما حفظ ، كما قال أصحاب الطبقات .

وقليل ماهم أولئك الذين أتصلوا بالأعراب من تلاميذ الخليل والكسائي وأصحابهما ، أذكر منهم على سبيل المثال :

النضر بن شميل : تلميذ الخليل ، والراوى عنه ، وعن فصحاء الاعراب . ذكر ابن النديم له كتباً فى اللغة ، منها كتاب الصفات . قال : « وهو كتاب كبير ، ويحتوى على عدة كتب ، ومنه أخذ ابو عبيد القاسم بن سلام كتابه « غريب المصنف » . (١)

وعلي بن حازم ، أو ابن المبارك ، اللحياني : تلميذ الكسائي وغلامه على حد تعبير ابن النديم . قال فيه ابن النديم : إنه « لقى العلماء والفصحاء من الاعراب وعنه أخذ ابو عبيد القاسم بن سلام » . (٢)

وابن سلام هـذا لغوى كوفى ، روى عن ابن الاعرابي ، وأبي زياد الكلابى ، وأبي عمرو الشيباني ، والكسائى ، والفراء ، واللحيانى من الكوفيين .. وعن الاصمعى ، وابى عبيـدة ، وابى زيد من البصريين ، وذكر له ابن النديم

---

(١) فهرست ابن النديم ، ص ٧٧ .

(٢) فهرست ابن النديم ص ٧١ .

مصنفات كثيرة في اللغة والقراءة . (١)

أما أكثر من جاء بعد تلك الطبقة فهم علماء لا رواة ، كانوا يأخذون العلم عن شيوخهم واحداً عن الآخر ، حتى ينتهي البصريون عند الخليل وسيبويه ، والكوفيون عند الكسائي والفراء .

ثم أخذا الزمن يسير ، لا يلوي على شيء واخذت المسافة بين الدارسين ، ومصادر الدراسة الاولى تتسع شيئاً فشيئاً ، واخذ العرب يرتضخون لكتات أعجمية ، بسبب تلاقي العناصر المختلفة ، وتفاعل لغاتها ، وتولى دراسة النحو وتدريسه ناس أكثرهم من الاعاجم ، ممن لم يعرف العربية عن طبع ، او سليقة ، وانما عرفها عن طريق الوقوف على هذه القواعد ، وأخذت هذه الدراسة تضعف وتجمد ، حتى آل الامر الى المنظومات والاراجيز النحوية ، والى تشكيل المادة الواحدة بأشكال مختلفة ايهاماً بالتجديد وليست من الجديد في شيء

---

(١) فهرست ابن النديم ص ١٠٦ ، ١٠٧ .

الفصل الثاني

رجال مدرسة الكوفة النحوية

ـ ١ ـ

فمن هم رجال مدرسة الكوفة النحوية الذين تؤرخ بهم ، والذين يرجع اليهم الفضل في إقامتها وتأسيسها ؟

أكبر الظن ان الكسائي وتلميذه الفراء هما المؤسسان الحقيقيان لهذه الدراسة ، أخذا نحو البصرة وغيّرا فيه ، ونهجا في دراسته منهجاً مستقلاً ، سار عليه المنتسبون الى هذه المدرسة .

ولكن القدماء ـ كما قلت ـ ابوا الا ان يذكروا أشخاصاً قبل الكسائي وأن ينسبوا اليهم المشاركة في إقامة هذه المدرسة بل ان يزعموا أنهم رؤساء هذه المدرسة ومؤسسوها ومن بينهم : معاذ بن مسلم الهراء وابو جعفر الرواسي (١)

ولكن الدارس اذا حقق النظر تريث قليلا قبل الاندفاع الى تصديق مقالة القدماء فيهما فليس لهما في موضوعات كتب النحو أقوال تؤيد مقالتهم وكل ماهنالك مزاعم مطلقة ينسب اكثرها الى كوفيين والى ابي العباس ثعلب وابي بكر بن الانباري بوجه خاص ، وليس من الصعب حمل اكثر هذه المزاعم على انها من فعل العصبية والخلاف الذي كان محتدماً بين البصريين والكوفيين إذ ذاك

---

(١) هو محمد بن سارة الرواسي : كما في تاج العروس نقلا عن ابي عمر الزاهد قال : منسوب الى رواس ، قبيلة من سليم ، بضم الراء وهمزة مفتوحة .

obeikandl.com

فقد كان ابو العباس ثعلب زعيم نحاة الكوفة ،وكان ابو العباس المبرد زعيم نحاة البصرة ، وكان كل منهما رئيساً وإماماً في صناعة الاعراب وقد احدث ذلك من المنافسة ما حفظه الشعر والتاريخ فلم يرض الكوفيون الا أن يكون لهم - كما كان لأهل البصرة - تاريخ بعيد في صناعة الاعراب

فلنتتبع مقالة القدماء فيها لعلنا نهتدى الى صواب من الرأى في أمرها :

أما معاذ بن مسلم الهراء فقد عده القدماء من النحاة الأولين ولكنهم لم يذكروا له كتاباً في النحو بل لم يعرفوا له مصنفاً فيه (١) ولم تروكتب النحو له أقوالا نحوية ، كل ما هنالك أنه كان يؤدب أولاد عبد الملك بن مروان وليس في تأديبه إياهم ما يشعر بأنه من النحاة، فقد كان يكفى فى المؤدب إذ ذاك أن يكون راوية شعروأدب أوممن له المام بالقراءات ،وليس بمستبعد أن يكون معاذ بن مسلم هذا من رواة الأدب والشعر ومن الملمين بقراءات القرآن وأحرفه فقد كانت الكوفة مهد الرواية الأدبية وموطن القراء .

وقد غلا القدماء فى أمره فزعم السيوطى أنه واضع علم التصريف مستنداً فى زعمه هذا الى ما دار بينه وبين أحد الأدباء من مقارضة شعرية ذكرها الزبيدي في طبقاته حول ما كان يدور بين الدارسين من مسائل نحوية وصرفية فقد كان هذا الأديب قد نظر فى النحو فلما أحدث التصريف أنكره فقال :

قد كان أخذهم في النحو يعجبنى حتى تعاطوا كلام الزنج والروم
لما سمعت كلاماً لست أفهمه كأنه زجل الغربان والبوم
تركت نحوهم والله يعصمنى من التقحم في تلك الجرائيم

فاجابه معاذ بقوله :

عالجتهـــا أمرد حتى اذا شبت ولم تحسن أباجادها

---

(٢) نزهة الالباء ، ص ٦٤ .

سميت من يعرفها جاهلا يصدرها من بعد إيرادها

وكان هذا قد جلس إلى معاذ ، فسمعه يقول لرجل : كيف تقول من تؤزهم أزا : يافاعل أفعل ، فقال له الابيات السابقة . . . قال السيوطي : « قلت : ومن هنا لمحت أن أول من وضع التصريف : معاذ هذا » (١)

ليس في القصة مايثبت أن معاذا هو واضع علم التصريف ، بل لعلها تحمل في ثناياها دلائل الوضع والافتعال ، وذلك لأن علم التصريف لم يعرف في ذلك العهد ، وإنما كان جزءاً من النحو ، وكانت مسائله تعد مسائل نحوية يخوض فيها النحاة ، دون تفريق بين باب وباب ، ودون إشارة إلى أن مايتصل منها بالصرف من واد ، وما يتصل منها بالنحو من واد آخر ، ولم تنفصل مسائل التصريف عن مسائل النحو الا بعد عصر سيبويه بزمن طويل . . ولم يثبت أيضاً أن معاذاً عالج مسائل الصرف كما ذكر الزبيدي والسيوطي قبل أن يعالجها البصريون ، فالناظر في كتاب سيبويه يجد التصريف قد اجتاز مرحلة طويلة من النمو ، مهدت له سبيل الاستقلال ، مما يدل على أن أصوله كانت تجري على السنة الدارسين قبل سيبويه .

يضاف الى هذا أن ياقوتاً كان قد عرض لقصة هذه الأبيات ، ولكنه نسبها الى أعرابي كان يجلس الى الكسائي لا الى معاذ ، وكان يعجبه مايدور في مجلسه من مسائل نحوية ، فلما سمعهم يتناظرون في التصريف ، لم يهتد الى ما كانوا يقولون فارقهم وأنشأ يقول (٢) :

ما زال أخذهم في النحو يعجبني حتى تعاطوا كلام الزنج والروم

بمفعل فعل لا طاب من كلم كأنه زجل الغربان والبوم

والراجح عندنا أن اعتبار (ف ع ل) ميزاناً للكلمات لم يكن ليكون إلا

---

(١) السيوطي : بغية الوعاة ، ص ٣٩٣ .

(٢) ياقوت : معجم الأدباء ، جـ ١٣ ص ١٩٣ .

بعد ظهور علم العروض وتفصيلاته ، وعلم العروض انما ينسب الى الخليل بن أحمد مهما تكن المصادر التي استقاه منها ، فان لم تكن هذه القصة موضوعة فليس معاذ بمبتكر مثل هذه المسألة ، بل كان - في اكبر الظن - مسبوقاً الى أمثالها ، ولا سيما إذا عرفنا أنه كان من المعمرين ، فقد ولد في ايام عبد الملك بن مروان ، وعاش الى ايام البرامكة ، وولد له اولاد ، واولاد اولاد ، وما توا كلهم وهو باق . (١)

وأنه - كما يزعم بعض الباحثين - بصري انتقل هو وابن أخيه (٢) أبو جعفر الرواسي الى الكوفة واذاعا فيها علم أهل البصرة . (٣)

* * *

وأما ابو جعفر الرواسي : فقد ذكره أصحاب الطبقات على انه استاذ المدرسة الكوفية الاول ، تلمذ له الكسائي والفراء ، وأنه أول من وضع كتاباً في النحو من الكوفيين كما جاء عن ثعلب .

وذكر ابن النديم وأبو البركات بن الانباري : أن له كتباً كثيرة منها : كتاب الفيصل وهو الذي أشار اليه ثعلب من أنه أول كتاب في نحو الكوفة وكتاب التصغير وكتاب معاني القرآن ، وروى ابن النديم أنه كان يروى الى أيامه وكتاب الوقف والابتداء . (٤)

ويحكي أصحاب الطبقات عن أبي جعفر الرواسي أنه قال : « أرسل إليّ الخليل بن أحمد يطلب كتابي فبعثته إليه فقرأه ووضع كتابه . (٥)

---

(١) أبو البركات بن الانباري : نزهة الالباء ، ص ٦٤ ، والسيوطي : بغية الوعاة ص ٣٩٣ .

(٢) السيوطي : بغية الوعاة ، ص ٤٤ ، ونزهة الالباء ص ٦٥ .

(٣) طه الراوي : « نظرة في النحو » : مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق م ١٤ ج ٩ ، ١٠ ص ٣١٧ .

(٤) ابن النديم : الفهرست ص ٩٦ ، وابو البركات بن الانباري : نزهة الألباء ص ٦٦ .

(٥) النزهة ص ٦٦ والبغية ص ٣٣ والفهرست ص ٩٦ .

والبصرة هي مصدر دراسته بل زعم بعضهم أنه بصري كما سبق أن أشرنا إليه ثم هاجر الى الكوفة واقام بها . والذي ذكره الزبيدي : أنه درس على عيسى ابن عمر ، أستاذ الخليل وسيبويه .

ولا تخلو الأخبار التي تتعلق بأستاذيته ، وقصة استفادة الخليل من كتابه من مبالغات مصدرها - فيما أظن - ذلك التنافس القوي ، وتلك الخصومة التي كانت قائمة بين المصرين منذ تمصيرها ،لاختلاف وجهتي النظر : الحزبية والسياسية فيها ،هذه الاختلافات في العصبية القبلية ، وفي وجهة النظر السياسية ، استحالت - اخيراً بعد زوال أسبابها - الى منافسات علمية ، تمثلت في هذه المناظرات التي كانت تعقد بين ممثلي المصرين في مجالس الأمراء ، وفي دواوين الخلفاء ، كالذي كان بين الكسائي ، وسيبويه ، والزبيدي والكسائي ، وغيره

هذا التنافس العلمي - في أكبر الظن - هو الذي جعل من معاذ بن مسلم الهراء واضع علم التصريف ، ومن أبي جعفر الرواسي واضع أول كتاب في النحو وهو كتاب الفيصل الذي افاد منه الخليل ، بل وضع كتابه عليه ، كما يزعمون

ومما يؤيد أن الكوفيين هم مصدر هذه المزاعم أن البصريين لم يكونوا يرون في أبي جعفر ما كان يراه الكوفيون فيه ، بل كانوا يرونه مطرح العلم ليس بشيء . (١)

ولعل مما يوضح منزلة الرواسي حتى عند الكوفيين أنفسهم ما كان بين الكسائي والفراء ، حين اعتزم الفراء مناظرة الكسائي ، أو مساءلته بما أخذه عن أبي جعفر .

قال الفراء : « لما خرج الكسائي الى بغداد ، قال لي الرواسي : قد خرج الكسائي ، وأنت أسن منه (وفي « نزهة الألباء » : وأنت أميز منه) ، فجئت الى بغداد ، فرأيت الكسائي ، فسألته عن مسائل من مسائل الرواسي ، فاجابني

---

(١) السيوطي : المزهر ج٣ ص ٢٤٨ .

بخلاف ما عندي ، فضربت قوماً من علماء الكوفيين كانوا معي ، فقال : مالك قد أنكرت ، لعلك من أهل الكوفة ، قلت : نعم . فقال : الرواسي يقول : كذا وكذا وليس صواباً ، وسمعت العرب تقول كذا وكذا ، حتى أتى على مسائلي فلزمته » . (١)

على أني لم أقف على أقوال للرواسي تمكن الدارس من رسم صورة واضحة لمنزلته العلمية ، بل ليس له بين أقوال الكوفيين - فيما تروى كتب النحو - إلا القليل النادر ، وهو على ندرته ليس من النحو ، وانما هو من الحكاية والرواية كالذي حكاه من أن « فصحاء العرب ينصبون بأن واخواتها الفعل ودونهم قوم يرفعون بها ودونهم قوم يجزمون بها »(٢) ، فلا ينبغي لنا ونحن بصدد الكلام عن المدرسة الكوفية أن نتابع القدماء في اعتبار الرواسي رأس المدرسة .

وفي رأينا - كما سوف يأتي تفصيله - أن الدراسة النحوية في الكوفة انما تبدأ بالكسائي « فهو عالم أهل الكوفة وإمامهم » وهو - في رأينا - الذي نهج بالنحو منهجاً جديداً تولاه الفراء من بعده بالرعاية ، فهما رئيسا هذه المدرسة واليهما يعزى تأسيسها ، تنظيم منهجها وبهما يبدأ تاريخها .

أما قبل ذلك فالنحو بصري محض وأهل العربية سواء أكانوا في البصرة أم في الكوفة انما اخذوا النحو من معاهد البصرة ثم انتشروا في الأمصار في الكوفة اولا وفي بغداد ثانياً ثم في مصر والمغرب والاندلس .

وظلت البصرة وحدها تقوم بعبء هذا العمل الذي كان قرآنياً خالصاً ثم أصبح قرآنيا لغويا ثم أصبح لغويا خالصاً قرابة قرن من الزمان ، من منتصف القرن الأول تقريبا الى منتصف القرن الثاني تقريبا ، فان الكسائي - وهو أول شيوخ النحو الكوفي - توفي سنة تسع وثمانين ومائة للهجرة ولم يدرس النحو الا على

---

(٢) ابو البركات بن الانباري : نزهة الالباء ص ٦٥ - ٦٦

(٣) السيوطي همع الهوامع ج ٢ ص ٣

كبر كما كان الفراء يقول . (١)

فاذا أردنا أن نؤرخ لمدرسة الكوفة فينبغي أن نؤرخ للكسائي ، لأنه ـ فيما نذهب اليه ـ هو النحوي الاول « الذي رسم للكوفيين رسوما يعملون عليها » كما قال أبو الفرج (٢) ولانه « عالم أهل الكوفة وامامهم » كما قال السيوطي (٣)

وإذا كان لابد من النص على المصدر الاول الذي استقى منه الكسائي علمه وفتح السبيل امامه ليكون إماماً في النحو ورئيساً لمدرسة فاننا نزعم ان الخليل بن احمد هو ذلك المصدر الذي لقن الكسائي صناعة الاعراب .

وليس كثيراً على الخليل صاحب العقل المبتكر ان ينتمي اليه اعظم مدرستين للغة وقواعدها شهدها تاريخ العربية .

وعلى هذا خططت هذا الجدول وجعلت الخليل فيه مبعث مدرستين اصطنعت كل واحدة منها منهجاً خاصاً ، تولى رياسة الاولى سيبويه وتولى رياسة الثانية علي بن حمزة الكسائي

ومن التحكم المحض ان يحدد زمن لبداية المدرسة ونهايتها ، لان الحركات العقلية ليست مما يؤرخ بزمن محدد ، ينص فيه على بدئه وختامه ، فاذا ظهرت فذلك يعني ان بواكيرها سبقت ظهورها الواضح ، ومهدت له ، واذا انتهت فذلك يعني ان جذورها لم تنعدم ، فلا يزال أثرها باقياً في العقول وسيبقى كذلك زماناً طويلا ، حتى يختفي بطغيان حركات اخرى جديدة ، تفرض سلطانها على العقول .

وكل ما يمكن المؤرخ عمله ان يرصد سير هذه الحركات ، ويرقب أعمال رجالها العلمية الذين شاركوا في إنمائها ، وهم نقط الارتكاز التي يعتمد عليها

---

(١) ابو البركات بن الانباري : نزهة الالباء ص ٨٢

(٢) ابو الفرج : الاغاني ج ١١ ص ١٠٢ « ساسي »

(٣) السيوطي : المزهر ج ٢ ص ٢٥٤

الخليل بن احمد الفراهيدي
مدرسة البصرة
مدرسة الكوفة
سيبويه
واصحابه وتلاميذه
على بن حمزة الكسائى
يحيى بن زياد الفراء
أبو مسحل
قتيبة الكوفي
علي بن المبارك الأحمر
سلموية
هشام بن معاوية
اللحياني
القاسم بن معن — ابن الأعرابى — إبن السكّيت
ابن الأعرابى — أبو العباس «ثعلب»
الطوال
سلمة بن عاصم
ثعلب
محمد بن سعدان
محمد بن قادم
إبن السكّيت
علي بن سليمان
« الأخفش »
ابو بكر
« ابن الأنباري »
إبراهيم بن عرفه
« نفطويه »
ابو الحسن
« ابن كيسان »
احمد بن سليمان
« الحامض »
هارون بن الحائك

تاريخها ، والينابيع التي تستمد منها القوة والنشاط وللدارس ان يجتهد فيعتبر إحدى هذه النقط حداً تنتهي عنده ، بانياً اجتهاده هذا على ما يلحظه فيها من مزايا نقط التحوّل وأدوار الانتقال .

ونحن نعلم ان الكوفيين والبصريين قد اجتمعوا في بغداد ، واجتمع حولهم الطلاب ، وكان بين الشيوخ والطلاب من كلتا المدرستين اتصالات ، ومباحثات ومناظرات ، ووجد أخيراً كثير من الطلاب ، وقد جلسوا الى شيوخ المدرستين ، وأخذوا عنهم جميعاً ، فكانت هذه الظاهرة نقطة تحول او بادرة تومي الى نشأة اتجاه جديد ، فيه مزايا الاتجاهين اللذين عاشا جنباً الى جنب فترة طويلة من الزمن ، وهما يسيران في اتجاهين متباعدين ، ونشأ من هذا الاتجاه الجديد مدرسة بغداد النحوية .

فاذا سأل الدارس متى نشأت هذه المدرسة الجديدة ، فقد يطول سؤاله ، ثم لا ينتهي إلى إجابة دقيقة ، وإذا به يحاول ان يضع يده على ابرز الرجال الذين ظهرت في أعمالهم العلمية مزايا الاتجاه الجديد ، ليعتبره نقطة البداية لهـــذه الحركة ، غير آخذ بنظر الاعتبار اولئك الذين سبقوه ، ومهدوا له هذه السبيل ممن لم تبرز في أعمالهم مزايا المنهج الجديد ، بروزها في اعماله . . . ثم إذا به يحاول ان يضع يده على آخر الرجال الذين ظهرت في أعمالهم تلك الصفات التي رصدها في أعمال المتعاقبين على إنشاء هذه المدرسة ظهوراً واضحاً ، ليعتبره آخر من انتهى عنده هذا الاتجاه الجديد .

فلنا إذن ان نعتبر هذا الدور الذي تلاقت فيه المدرستان ، والذي تمخض عن اتجاه جديد ، فيه مزايا الاتجاهين القديمين جميعاً ، لنا ان نعتبر هذا الدور صفحة جديدة تؤذن بانتهاء حركة ، ونشوء حركة أخرى .

وابرز رجال هذا الدور : ابو العباس احمد بن يحيى ثعلب ، فقد كان قواماً على منهج مدرسته ، وطريقة شيوخه الذين اخذ عنهم وتلمذ لهم ، وكان

شديد التعصب له ، شديد الغيرة عليه . وكان ينافسه إمام من أئمة أهل البصرة ، شديد التعصب لمدرسته شديد الغيرة عليها ايضاً وهو ابو العباس محمد بن يزيد المبرد .

وكان بين هذين الامامين مجالس ومناظرات ، كالتي حدثت بينهما في مجلس محمد بن عبد الله بن طاهر حول بيت امرىء القيس :

له متنتان خظاتا كما أكب على ساعديه النمر (١)

وكان بين تلاميذهما مساءلات ومجادلات ، وكان من اثر ذلك ان انحاز بعض تلاميذ ثعلب الى جماعة المبرد كأبي اسحاق الزجاج الذي كان من خاصة اصحاب ثعلب ، فقد أرسله ثعلب ليناظر المبرد ويسكته ، فحضر حلقة المبرد ، واستأذنه في المناقشة فأذن له ، وسأله عن مسائل اجاب عنها المبرد بما اقنعه فأعجب به ولزمه . (٢)

وحكى ابو البركات بن الانباري عن الزجاج انه قال : « لما قدم المبرد بغداد جئت لاناظره وكنت اقرأ على ابي العباس ثعلب فعزمت على إعناته فلما فاتحته الجمني بالحجة وطالبني بالعلة وألزمني إلزامات لم اهتد اليها فتيقنت فضله واسترجحت عقله واخذت في ملازمته » (٣)

وكأبي علي احمد بن جعفر الدينوري المصري ختن ابي العباس ثعلب زوج ابنته ، فقد كان الدينوري يخرج من منزل ثعلب فيتخطى أصحابه ومعه محبرته ودفتره فيقرأ كتاب سيبويه على أبي العباس المبرد فكان يعاتبه احمد بن يحيى ثعلب على ذلك ويقول ، إذا رآك الناس تمضي الى هذا الرجل ، وتقرأ عليه ،

---

(١) أنظر اللوحة رقم ٤٥ من النسخة المصورة لمجالس اللغويين والنحاة ، والاشباه والنظائر للسيوطي ج ٣ ص (٢١) وطبقات النحويين للزبيدي ـ المبرد . . خظا لحمه خظوا كسمو : اكتنز .

(٢) الزبيدي : طبقات النحوية ـ « المبرة » .

(٣) ابو بركات بن الأنباري : نزهة الألباء ص ٢٩٠ .

obeikandi.com

يقولون ماذا ؟ فلم يكن ليلتفت الى قوله » . (١)

وكان لأبي العباس ثعلب تلاميذ كثيرون ، منهم : أبو موسى الحامض ، وابو الحسن بن كيسان ، وابراهيم بن عرفة نفطويه ، وعلي بن سليمان الاخفش الصغير ، وابو بكر بن الانباري ، ولكن اكثرهم كانوا يخلطون المذهبين - كما قيل عنهم - لأنهم أخذوا عنه وعن بصريين . وهم الاربعة الأولون ، وهؤلاء الاربعة - اذا كانوا يخلطون المذهبين - لا يعدون من رجال المدرسة الكوفية وإن تلمذوا لثعلب ، واخذوا عنه ، ولا يعدون من رجال المدرسة البصرية ، وإن أخذوا عن بصريين ، فانما هم رجال مدرسة جديدة نشأت في بغداد عن تلاقي المدرستين فيها ، ونهجوا نهجاً جديداً ، انبنى على الانتخاب من اصول المذهبين ، والتوفيق بين منهجي المدرستين .

ولم ينشأ من أصحاب أبي العباس ثعلب من آمن بمنهجه فكان قواماً عليه من بعده ، اما ابو بكر بن الانباري فبالرغم مما قيل فيه : « إنه كان أعلم الناس ، وأفضلهم في نحو الكوفيين » (٢) - ليس من الذين يصلحون لامامة الناس في النحو كأبي العباس ثعلب ، ومن سبقه من أئمة أهل الكوفة ، ولم يكن بشيء ، حتى عند القدماء أنفسهم ، فقد نقل السيوطي عن أبي الطيب اللغوي - وقد عرض لأبي بكر بن الانباري ، ومن روى عنه - أنه قال : « أن هؤلاء رواة أصحاب أشعار لا يذكرون مع من ذكرنا » (٣) ، يعني أئمة الكوفيين الذين ختموا بأبي العباس ثعلب .

وقد اختلط الأمر على القدماء ، فتجاوزوا ثعلباً ، وذكروا من أصحابه نحويين ، على أنهم متممون لرجال المدرسة الكوفية ، ولعلهم بنوا رأيهم في هؤلاء

---

(١) طبقات الزبيدي - « ثعلب » « الدينوري » .
(٢) نزهة الألباء ، ص ٣٣٠ .
(٣) المزهر ج ٣ ص ٢٥٩ .

على مجرد الأخذ عن كوفيين ، غير ناظرين الى آثار شيوخ آخرين لا ينتمون الى المدرسة الكوفية ، كما فعل الزبيدي في طبقاته ، فقد صنف نحاة الكوفة ست طبقات :

جعل في الطبقة الأولى : الرواسي ، ومعاذ بن مسلم الهراء ، وابا مسلم مؤدب عند الملك بن مروان

وجعل في الثانية : علي بن حمزه الكسائي .

وجعل في الثالثة : أصحاب الكسائي وهم : يحيى بن زياد الفراء ، والقاسم بن معن ، وعلى بن المبارك الاحمر ، وهشام بن معاوية الضرير ، وسلمويه ، واسحاق البغوى ، وابا مسحل بن حريش ، وقتيبة النحوى .

وجعل في الرابعة : اصحاب الفراء . وهم : سلمة بن عاصم ، وابو عبدالله الطوال ومحمد بن قادم ، وأحمد بن قادم : ومحمد بن سعدان ، ومحمد بن حبيب .

وجعل في الخامسة : أبا العباس أحمد بن يحيى ثعلباً .

وجعل في السادسة : أصحاب ثعلب ، وهم : هارون بن الحائل ، وابن عبد العزيز الأوارجي ، وأبو موسى الحامض ، وأحمد بن عبيد ، ومحمد بن أحمد بن كيسان ، وأبو بكر بن الانبارى ، ومحمد بن عرفة نفطويه .

أما ابن النديم فذكر في فهرسه رجال المدرسة الكوفية ، ولكنه لم يصنفهم طبقات ، وجعل أبا جعفر الرواسي أولهم ، وأبا بكر بن الانبارى ، وأبا عمر الزاهد ، تلميذى ثعلب ، آخرهم .

ومع ذلك فابن النديم أدق تبويباً لطبقات الكوفيين من الزبيدى ، لأن الزبيدى ذكر اصحاب ثعلب في طبقه كوفية خاصة ، بعد طبقة ثعلب ، وفيهم كثيرون ممن خلط المذهبين ، ممن لا يصح نسبتهم الى المدرسة الكوفية ، على انه مالبث ان ذكر هؤلاء الذين نشير اليهم في جملة النحاة ، الذين خلطوا المذهبين كما فعل مع ابن كيسان ، ونفطويه ، وابى موسى الحامض .

على أننا نحمد لأبي الطيب اللغوي دقة نظره ، وصواب رأيه في تاريخ هذه المدرسة فقد أرخ لنهايتها بأبي العباس ثعلب ، وأبي يوسف يعقوب بن اسحاق السكيت ، غير ناظر الى من جاء بعد ثعلب من أصحاب وتلاميذ ، كانوا قد نهجوا منهجاً كوفياً ، كأبي بكر بن الانباري وغيره ، لأنهم في نظره رواة ، واصحاب أشعار . (١)

وليس كل هؤلاء المدونة أسماؤهم في الجدول من النحاة ، فكثير منهم كان ممن عني بالرواية اللغوية أكثر مما عني بالبحث في علل التأليف ، نذكر منهم اللحياني ، وابن الاعرابي وابن السكيت

أما اللحياني فهو صاحب الكسائي ، وكان ممن لقي العلماء من المصريين ، والفصحاء من الأعراب وله نوادر ، وحكايات . وسنعرض له حين نعرض لأصحاب الكسائي .

واما ابن الاعرابي فهو أبو عبدالله محمد بن زياد الاعرابي من أصحاب الكسائي . أخذ عنه وعن المفضل الضبي والقاسم بن معن ، وروى عن جماعة من فصحاء الاعراب[٢] وكان كثير الحفظ حتى إن أبا العباس ثعلباً لزمه بضع عشرة سنة لم ير بيده كتاباً قط ، وانه أملى على الناس ما يحمل على أجمال [٣] وكان احفظ الناس للغات والايام والانساب [٤] وذكر ابن النديم له كتباً كثيرة منها : كتاب الانواء ، وكتاب صفة النخيل ، وكتاب النبات ، وكتاب نسب الخيل ، وغيرها وكلها - كما تدل عليه أسماؤها - في اللغة لا في النحو .

وأما ابن السكيت فهو أبو يوسف يعقوب بن إسحاق السكيت . كان أبوه إسحاق صاحب الكسائي وكان هو صاحب الفراء وكان يؤدب الصبيان في بغداد

---

(١) السيوطي : المزهر جـ ٢ ص ٢٥٨ ، ٢٥٩ .

(٢) ابن النديم : الفهرست ، ص ١٠٢ ، ١٠٣ .

(٣) المصدر السابق .

(٤) نزهة الألباء ص ٢٠٨ .

« وأقبل على تعلم النحو من البصريين ، والكوفيين فأخذ عن أبي عمرو الشيباني والفراء وابن الاعرابي وغيرهم . وروى عن الاصمعي وأبي عبيدة وأخذ عنه أبو أبو سعيد السكري وأبو عكرمة الضبي » . (١)

وعهد اليه المتوكل بتأديب ولده ، وكان ابن السكيت معروفاً تشيعه وتعصبه لعلي بن أبي طالب فكان في ذلك نهايته على يد المتوكل .

وكتبه التي وصلت إلينا إنما هي كتب لغة لا كتب نحو كاصلاح المنطق الذي قال فيه المبرد : « ما رأيت للبغداديين كتاباً أحسن من كتاب يعقوب بن السكيت في المنطق » (٢) وكتاب مختصر تهذيب الالفاظ طبع في بيروت بمطبعة الآباء اليسوعيين سنة ١٨٩٧ م .

وبالرغم من أن القدماء عدوه من النحاة وقالوا عنه : إنه كان عالماً بالعربية واللغة والشعر ، أو أنه أقبل على تعلم النحو من البصريين والكوفيين ، أو انه كان عالماً بالقرآن ونحو الكوفيين (٣) ، فليس نحوه بشيء .

والمناظرات بينه وبين بعض البصريين ، كالتي حدثت بينه وبين أبي عثمان المازني في مجلس محمد بن عبد الملك الزيات الوزير ، وسؤال الأخير إياه عن وزن (نكتل) في قوله تعالى : « فأرسل معنا أخانا نكتل » وعن علة جزمه ، وتلدده في الاجابة ، وما علل به المازني تباطؤه وتردده في سؤاله بقوله : « كرهت أن أتجهمه بالسؤال لعلمي بضعفه في النحو » . (٤)

ثم ما روي أن ثعلباً قال : « دخلت على يعقوب بن السكيت وهو يعمل بعض كتبه فسألني عن شيء في الاعراب فتكلمت فيه فلم يقع له فهمه فصحت

---

(١) معجم الادباء ، جـ ٢٠ ص ٥٠ .

(٢) تاريخ بغداد جـ ١٠ ص ٣٧٤ نزهة الالباء ص ٢٤٠ .

(٣) معجم الادباء جـ ٢٠ ص ٥٠ .

(٤) انظر اللوحة رقم ١١١ من مجالس اللغويين والنحاة (نسخة شهد على باستانبول الأشباه والنظائر جـ ٣ ص ٣٤ .

فقال : لا تصح ، فانما أريد أن أتعلم : فاستحييت » . (١)

كل أولئك شواهد على ضعفه في النحو نحول دون أن يعشر في زمرة أئمة النحو من الكوفيين الذين سنتحدث عنهم .

ولا بن السكيت أقوال ذكرها النحاة في كتبهم تتصل باللغة لا بالنحو . وندرة أقواله في النحو تؤيد رأي المازني ، وقول ثعلب فيه ، ولا تسمح لنا بوضعه في صفوف الأئمة الذين كان لهم اثر في صناعة الاعراب ، ولا بمقارنته بأبي العباس ثعلب ، كما وهم السيوطي بقوله : « وانتهى علم الكوفيين الى أبي يوسف يعقوب بن اسحاق السكيت ، وابي العباس أحمد بن يحيى ثعلب » ، وان صرح بعد قليل بأن ثعلباً أعلم الرجلين بالنحو (٢) لان المفاضلة بين الرجلين في النحو ليست بذات موضوع .

* * *

وفي هـذا الجدول ثبت بأسماء رجال المدرسة الكوفية شيوخاً وطلاباً ولغويين ونحويين وهم . كما يتضح من التخطيط ـ بدئوا بالكسائي ، وختموا بثعلب .

أما أصحاب ثعلب الذين ذيلنا اسمه بأسمائهم فليسوا جميعاً كوفيين بل اكثرهم ينتمون إلى مدرسة جديدة هي مدرسة بغداد ، وهي المدرسة الانتخابية التي قامت على خلط المنهجين من المدرستين البصرية والكوفية لانهم أخذوا عن بصريين وكوفيين ، وتأثروا بهؤلاء وهؤلاء ، ولا نستثنى منهم الا أبا بكر بن الانباري الذي ترسم خطى الكوفيين وتأثر أستاذه أبا العباس ، وعرف بتعصبه لمدرسته ونقوله الكثيرة عن شيوخها .

وبناء على هذا الاعتبار تكون مدرسة الكوفة قد استمرت قرابة قرن

---

(١) القفطي انباه الرواة ، جـ ١ ص ١٤٨ .

(٢) السيوطي : المزهر جـ ٢ ص ٣٥٨ .

ونصف قرن من الزمان أي من منتصف القرن الثاني تقريباً الى أواخر القرن الثالث تقريباً .

ويتفق هذا مع ما ذهب إليه « ماسنيون » فهو يرى أن شأن الكوفة قد زال وانحطت مكانتها في أوائل القرن الرابع الهجرى . (١)

اما ما اعتمدته دائرة المعارف الاسلامية في نهاية الكوفة مما ذكره ابن جبير من أنه زارها فى القرن الخامس او في عام ٥٧٨ للهجرة فوجد الجدران القديمة قد انهدت وبدت في الكوفة أمارات الانحطاط واصبحت في عالم النسيان (٢) فليس بينه وبين ما ذهب اليه ماسنيون من تعارض فماسنيون يتحدث عن كيانها العلمى ودائرة المعارف الاسلامية تتحدث عن كيانها المادى .

أما الأئمة الذين كان لهم اثر في إقامة هذه المدرسة وإنمائها فهم ثلاثة ، هم أساتذتها ومرجع طلابها ، وهم : علي بن حمزة الكسائي ، ويحيى بن زياد الفراء ، وأحمد بن يحيى ثعلب .

هؤلاء الثلاثة هم الذين بدئت بهم المدرسة ، وختمت ، وعلى أقوالهم تأسست المدرسة ، ونمت ، وتخرج فيها الطلاب الذين نسبناهم فى الجدول إليها واكثر ما روي في كتب النحو من آراء وأقوال إنما هو لهؤلاء الأئمة الثلاثة . اما من سواهم فهم إما اصحاب الكسائي او اصحاب الفراء أو أصحاب ثعلب وأقوالهم المروية قليلة ، لاتعين على رسم صورة واضحة ، ولا تمثل وجهة نظر مستقلة ، فأصحاب الكسائي يرددون أقوال الكسائى ، وقليل ما هم اولئك الذين لهم آراء خاصة ، كهشام بن معاوية الضرير وأصحاب الفراء إنما هم حملة أقواله ، وحفظة مذهبه ، واصحاب ثعلب كانوا ممن خلط المذهبين ، فهم ليسوا من رجال هذه المدرسة التى هى موضوع هذه الرسالة .

---

(١) ماسنيون : خطط الكوفة (صيدا) ص ١٦ .

(٢) دائرة المعارف الاسلامية ـ الكوفة .

وسأقصر عليهم الحديث في هذه الرساله في أثناء التحدث عن رجال المدرسة الكوفية ، وإذا عرضت لتلاميذهم فانما اعرض لهم باعتبار أنهم تتمة للصور التي أحاول جاهداً رسمها لهم ، فربما ضاع من اقوالهم شيء فان الغدماء أن يعثروا عليه ، فاذا استطعت الالمام باقوال هؤلاء التلاميذ أكون قد وفقت للعثور على ما فقدوه أو بعضه ، لان التلاميذ كانوا قد لازموهم وتر حموا خطاهم وحفظوا لنا شيئاً من اقوالهم وآرائهم ، فما يجري على السنتهم إنما هو في اكثر الاحيان لشيوخهم أو أقرب ما يكون لاقوال شيوخهم .

* * *

وماقلته من ان المدرسة الكوفية قد انتهت بأبي العباس ثعلب لايعني أنها قد زالت فلم يعد لها اثر ، فقد قلت ايضاً : إنه اذا انتهت فذلك لايعني ان جذورها تقطعت بانتهائها فلا يزال أثرها باقياً في العقول وسيبقى كذلك زمناً طويلا .

وقد بقيت مدرسة الكوفة فعلا تغالب مدرسة البصرة التي كتب لها النصر على الايام بعناصر كوفية قوية كان لها اثر في اعادة الحياة اليها ولو الى حين ، لأنها عناصر فرضت نفسها على الايام فرضاً .

ومن هؤلاء : اللغوي المعروف احمد بن فارس بن زكرياء صاحب «المجمل» في اللغة والصاحبي في فقه اللغة ولم يذكر المترجمون له كتباً في النحو الا « مقدمة في النحو » ولا اعلم أنها موجودة وكتاب « اختلاف النحويين » ولا أحسب الا أنه كان قد عرض فيه لما عرض له اصحاب المصنفات في مسائل الخلاف بين الكوفيين والبصريين .

وله في كتاب « الصاحبي » الذي ألفه للوزير الصاحب بن عباد وقد نامذ له هذا فصل في حروف المعاني (١) وهي الادوات التي تكلم فيها النحويون وكان لكل من المدرستين رأي خاص فيها وهو في هذا الفصل وغيره من الفصول

(١) الصاحبي من ص ٩٧ الى ص ١٤٩

الاخرى التي يعرض فيها المسائل نحوية ينحو منحى الكوفيين ،فهو إذن كوفي المذهب لانه يستعمل مصطلحات الكوفيين وعباراتهم ، كالخفض والخافض والمخفوض وكالنسق والناسق وينسق. كقوله: «والكوفيون لا ينسقون بل الا بعد نفي»(١) وقوله « فتخرج بذلك من ان تكون ناسقة فعلا على اسم »(٢) الى غير ذلك .

يضاف الى هذا أنه كثير الرواية عن الكوفيين كالكسائي وهشام والفراء وثعلب ، بل هو معتمد على أقوالهم في هذه الحروف ، ولا يعرض لاراء البصريين فيهن الا اذا كان لهم رأي خاص كحكايته عن الخليل : أن معنى (لن) : لا أن (٣) أو الرد عليهم ، كما فعل مع الزجاج الذي عاب على الفراء قوله : « إن كم : (ما) وصلت من اولها بكاف » وأورد عليه بأنه «لو كانت في الاصل : (كما) وأسقطت ألف الاستفهام لتركت على فتحها كما تقول : بم وعم وفيم انت» فقد أجاب ابن فارس عما قاله الزجاج بما ذكره ابو زكريا ، وهو كثرة الاستعمال.

ويؤيد كوفية ابن فارس ايضاً أن له كتاباً في (الانتصار لثعلب) ويخيل إليّ انه كان رداً على رسالة الزجاج في « الرد على فصيح ثعلب » .

وأن ياقوتاً يقول فيه: إنه أخذ علي ابى بكر أحمد بن الحسن الخطيب راوية ثعلب (٤) .

وأن بعض من ترجم له يقول : (كان نحوياً على طريقة الكوفيين)(٥)

* * *

ومن هؤلاء : ابو الطيب المتنبي فقد كان كوفيّ المذهب « وكانت كوفيته مبعث كثير من النقدات والمآخذ التي اخذها عليه شراح ديوانه ،وفي ديوانه أمثلة

(١) الصاحبي ص ١٢٧
(٢) الصاحبي ص ٨٩
(٣) الصاحبي ص ١٣٦
(٤) معجم الادباء ج ٤ ص ٨٢
(٥) بغية الوعاة ص ١٥٣ ـ روضات الجنات ص ٦٤

كثيرة ، تستعصى على العدّ ، ذهب فيها مذهب الكوفيين ، ولعلى لم أكن دقيق التعبير إذ قلت : إنه ذهب مذهب الكوفيين ، لأنه أحد أئمتهم الذين درسوا النحو وفقاً للمنهج الذى رسمه الكوفيون الأولون ، وطبق هذا المنهج فى قصائده تطبيقاً عملياً .

ولأبى الطيب معرفة واسعة بالادب وعلم العربية ، وقد لقى أصحاب المبرد فقرأ على النابهين منهم ، كأبى إسحاق الزجاج ، وأبى بكر بن السراج ، وأبى الحسن الأخفش ، ثم لقى أصحاب ثعلب ، فقرأ على أبى موسى الحامض ، وأبى عمر الزاهد (١) واكثر من النظر فى النحو الكوفى ، فحفظ كتاب الحدود (٢) وهو كتاب للفراء لم يصل إلينا ، ولكن ابن النديم كان قد عرض له وذكر محتوياته ، وهى موضوعات نحوية خالصة ، وكان ثعلب قد أملاه على أصحابه .

وكان له مع نحاة عصره كابن خالويه ، وأبى الفتح بن جنى مجادلات تؤيد أنه كان ملماً بهذه الصناعة ، طويل الباع فيها .

ولاريب أنه أكثر من الأخذ عن أصحاب ثعلب حتى غلب عليه مذهب الكوفيين ، وظهر تأثره بمذهبهم فيما سنورد هنا من أمثلة ، وفيما قصر المجال عن إيراده ، وفيما ذكره ابن يعيش ، حين عرض لحذف حرف النداء ، فقد قال : « أجاز قوم من الكوفيين : هذا أقبل ... على إرادة النداء ، وتعلقوا له بقوله تعالى : « ثم أنتم - هؤلاء - تقتلون أنفسكم » . قالوا والمراد : يا هؤلاء . وقد عمل به المتنبي في قوله :

« هدى : برزت لنا فهجت رسيسا »

---

(١) بطرس البستانى فى مقدمته لشرح ديوان المتنبي .

(٢) كتاب الاستدراك فى الأخذ على المتأخذ الكندية ، لصاحب المثل السائر مخطوط بدار الكتب ، رقم ٧٩٣ شعر » .

وكان يميل كثيراً إلى مذهب الكوفيين » . (١)

فهو إذ نظم الشعر كان يريد الى تطبيق أصول هذه الصناعة فيه ، وكان يفكر في تأييد المذهب الكوفي فيها .

وفي المتناول ديوانه ، وفيه من الأمثلة ما يغني عن تأكيد القول بكوفيته ، فقد قال :

حملت إليه من لساني حديقة سقاها الحجى سقي الرياض السحائب

فقد فصل بين المضاف والمضاف إليه بالمفعول ، وهو ما جوزه الكوفيون لضرورة الشعر . (٢)

وقال :

مضى وبنوه وانفردت بفضلهم وألف إذا ما جمعت واحد فرد

فقد عطف (بنوه) على الضمير المستتر في (مضى) بلا تأكيد بالضمير المنفصل . ومثله قوله :

ياعدن حبا يجتمعن ووصله فكيف بحب يجتمعن وصده

عطف (وصله) على الضمير المتصل المرفوع ، وهو النون في (يجتمعن) ، وعطف (صده) على النون في (يجتمعن) ، ولم يفصل بالتأكيد في الموضعين ، وقد أجاز الكوفيون ، ومن وافقهم ذلك . (٣)

وقال :

توقه فتى ما شئت تبلوه فكن معاديه أو كن له نشبا

أراد : أن تبلوه ، فحذف ، وأعمل ، ومثله قوله :

وقبل يرى من جوده ما رأيته ويسمع فيه ماسمعت من العذل

---

(١) ابن يعيش : شرح المفصل ، جـ٢ ، ص ١٦ .

(٢) أبو البركات بن الأنباري : الانصاف في مسائل الخلاف « مسألة ٦٠ » .

(٣) شرح الاشموني ، جـ ٣ ص ٣١٩ .

قال شارح ديوانه في « التبيان » : « أراد : قبل أن يرى ، فحذفها ، وأعملها ، على رواية من روى ويسمع بالنصب ، وهو مذهبه ، لأنه كوفي ».(١)

والأمثلة التي طبق بها مذهبه في النحو كثيرة ، كانت مدعاة لنقدات كان يزجيهـا أتباع المدرسة البصرية ، ولذلك انبرى للدفاع عنه شارح ديوانه في «التبيان على شرح الديوان» ، ودفع ما كان يورده هؤلاء على أقواله ، لأنه ذهب فيها مذهباً كوفياً ، فلا وجه لتغليطه فيها .

* * *

هذه المدرسة التي استمرت قرناً ونصف قرن تقريباً ، وضمت إليها اساتذة وطلاباً كثيرين واستطاعت أن ترسم لنفسها منهجاً جديداً ، يخالف منهج أهل البصرة ، وأن تفرض هذا المنهج على دارسي العربية في بغداد ، وأن تزاحم البصريين أصحاب هذه الصناعة الاولين ، هذه المدرسة كان المنتظر أن يحفظ التاريخ لها مصنفات رجالها ، وآثارهم ، وسجلات أعمالهم ، لأنها نشأت في عهد كان التدوين فيه معروفاً في البيئات الدراسية ، وكان الدارسون يتبارون في مدوناتهم ، سواء أكانت من مروياتهم أم من أعمالهم ، ولكن أكثر ما املوه ضاع ، ولم يصل إلينا ، لأنهم لم يحفظوه في كتب إلا قليلا ، وكانوا يملون على طلابهم إملاء ، وكان الاعتماد على الاملاء والحفظ من أبرز خصائص رجال هذه المدرسة .

يؤيد هذا ماروي أن ابا بكر بن الأنباري « مرض ، فعاده اصحابه ، فرأوا من انزعاج والده أمراً عظيماً ، فطيبوا نفسه ، فقال : كيف لا انزعج ، وهو يحفظ جميع ماترون !! وأشار الى خزانة مملوءة كتباً » .(٢)

---

(١) التبيان في شرح الديوان جـ٢ ص ٤٨ « السافية » .

(٢) معجم الادباء جـ١٨ ص ٣٠٧ .

وربما كان لعلماء بغداد الذين جلسوا إلى شيوخ المصريين ، وحملوا عنهم جميعاً ، ودونوا ما حملوه - الفضل في حفظ كثير من أقوالهم التي بين أيدينا .

ولم يصل الينا من كتب الكوفيين إلا القليل ، ومنه : « معاني القرآن » للفراء ، ومنه مجالس ثعلب ، وليست هذه المجالس في النحو خاصة . وإنما هي « مجالسات أملاها على أصحابه في مجالسه . تحتوي على قطعة من النحو ، واللغة ، والأخبار ، ومعاني القرآن ، والشعر ، مما سمع ، وتكلم عليه » . (١)

وهناك كتب لمتأخرين ، بعضها لأتباع المدرسة البصرية ، حفظت لنا كثيراً من أقوالهم ، ولمواضع الخلاف بين آراء البصريين وآرائهم ، وطرق الاحتجاج لها ، والاستدلال عليها .

فمن الكتب الكوفية : كتاب «التبيان في شرح الديوان » . وصاحب هذا الكتاب نحوي على المذهب الكوفي . وكان يصرح هو بهذا في مواضع كثيرة من كتابه ، كما جاء في اعراب بيت المتنبي :

فهن أسلن دما مقلتي وعذبن قلبي بطول الصدود

فقد قال: « دما : مفعول ثان ، وقيل بل هو تمييز مقدم ، وهذا جائز عندنا ، وعند المازني من البصريين ، ومنعه باقيهم ، كقولك : تصبب عرقا زيد ، يجوز تقديمه إذا كان العامل فيه فعلا متصرفاً » . (٢)

كما جاء في إعراب قوله :

وحمدان حمدون ، وحمدون حارث وحارث لقمان ولقمان راشد

فقد قال : « ترك صرف حمدون ، وحارث ضرورة . وهو جائز عندنا ، غير جائز عند البصريين » . (٣)

---

(١) فهرست ابن النديم ص ٩١١ .
(٢) التبيان في شرح الديوان . جـ١ ص ٥٨ (السلفيه) .
(٣) التبيان في شرح الديوان . جـ١ ص ١٧٣ .

ومن الكتب الكوفية : المقدمة المعروفة المشهورة بالآجرومية لمحمد بن محمد بن داود الصنهاجي ، المعروف بابن آجروم المتوفى سنة ثلاث وعشرين وسبع مائة ، وهي مختصر في النحو الكوفي « لانه عبر بالخفض ، وهو عبارتهم وقال :الامر مجزوم وهو ظاهر فى انه معرب ، وهو رأيهم ،وذكر في الجوازم : كيفما والجزم بها رأيهم وانكره البصريون »(١)

وذكر أن النواصب عشرة وعد منها : لام كي ولام الجحود وحتى وأو والفاء والواو ، وليست هذه الأدوات هى الناصبة عند البصريين ، وانما النصب بأن مقدرة بعدها .

وعليه فلا وجه لما ذكره بعض الباحثين من أن أمهات المذاهب النحوية أربع، وأصول تلك الامهات اثنان : البصرية والكوفية ،«أما مذهب البغدادية فرجعه الكوفة ، ومذهب الأندلسية يرجع الى البصرة » . (٢)

لأن النحو البغدادى ـ كما ذكروا ـ يقوم على الخلط بين المذهبين ،والنحو الأندلسى ، ممثلا في كتب وصلت الينا ، بعضه يميل الى التوفيق بين المذهبين ، كنحو ابن مالك ، وبعضه يذهب مذهب الكوفيين ، كالنحو الممثل في مقدمة ابن آجروم ، وبعضه يميل الى اصطناع مذهب جديد ، لاهو كوفى ، ولا هو بصرى ،وهو الممثل في كتاب « الرد على النحاة» لابن مضاء القرطبي . ولا يعنى هذا ألا يكون من أئمتهم من كان يذهب مذهب البصريين .

* * *

ومن الكتب غير الكوفية : كتاب « الانصاف في مسائل الخلاف بين البصريين والكوفيين » لأبى البركات بن الانبارى .

---

(١) السيوطى بغية الوعاة : ص١٠٢

(٢) ـ نظرة في النحو ـ : طه الراوى : مجلة المجمع العلمى بدمشق م ١٤ جـ١٩٦٩ ص ٣١٨ .

حوى هذا الكتاب مائة مسألة وإحدى وعشرين مسألة، اختلف فيها البصريون ، والكوفيون ، تتعلق المسألة الأولى باشتقاق « الاسم » ، أهو مشتق من السمو - كما قال البصريون - أم من الوسم كما قال الكوفيون ؟ . وتتعلق المسألة الحادية والعشرون بعد المائة وهي آخر مسائل الكتاب - برّب ، أهي اسم كما قال الكوفيون أم حرف جر كما قال البصريون ؟

وكان ابن الانباري ينتصر في كتابه للبصريين على الكوفيين إلا في أحوال نادرة . وإن قال في مقدمته : « اعتمدت في النصرة على ما أذهب اليه من مذهب أهل الكوفة أو البصرة على سبيل الانصاف لا التعصب والاسراف » .

* * *

ومن الكتب غير الكوفية ، كتاب لأبي البقاء العكبري المتوفى سنة ست عشرة وست مائة للهجرة ، وهو : « املاء ما منّ به الرحمن من وجوه الاعراب والقراءات في جميع القرآن » .

وكتاب آخر له هو : « المسائل الخلافية » ومنه نسخة مخطوطة بدار الكتب المصرية ، رقمها : « ٢٨ ش نحو » .

أما الكتاب الأول فهو في إعراب القرآن .. وأما الكتاب الثاني فقد عرض لبعض المسائل التي اختلف فيها البصريون والكوفيون ، وهو غير الكتاب المعروف بالتبيين الذي ألف على غرار كتاب الانصاف في مسائل الخلاف .

وابو البقاء العكبري في هذين الكتابين نحوى على المذهب البصري ، لأنه في الكتاب الأول : يستعمل اصطلاحات البصريين ويكثر من الاستشهاد بأقوال أئمة البصريين ، ويعتمد على آرائهم ويعرض لآراء الكوفيين ، ويغلطها كثيراً في كتابه ويستند في تدعيم رأيه إلى آراء بصرية معروفة ، ويعرض لقراءات كثيرة ويصفها بالشذوذ .

ولأنه في الكتاب الثاني يصرح بأنه من اتباع المدرسة البصرية فقد ذكر - حين عرض لاشتقاق «الاسم» - أن الاسم مشتق من السمو عند البصريين ومن الوسم عند الكوفيين، ثم قال: «فالمحذوف عندنا لامه وعندهم فاؤه». (١)

وقد صرح بذلك ايضاً حين عرض للخلاف بين الفريقين في بناء «فعل الأمر» وإعرابه فقال: «مسألة فعل الأمر مبني نحو قم واضرب وقال الكوفيون: هو معرب بالجزم. لنا أنه لفظ لا يفرق باعرابه بين معنى ومعنى فلم يكن معرباً كالحرف». (٢)

وعلى هـــذا فنحن نؤيد بعض الباحثين (٣) في ابطاله نسبة «كتاب التبيان في شرح الديوان» الى العكبري لأن شارح الديوان كوفي في نحوه وقد أثبت كوفيته فيما عرضت له - قبل هـذا الكلام - من أمثلة وأقوال له فلا يمكن ان يكون هو العكبري.

* * *

وأخيراً، وفي مطلع هذا القرن ظهرت محاولة لأحد علماء القرن الرابع عشر الهجري، وهو أبو طلحة عبد القادر صدر الدين بن عبد الله بن عبد القادر الكنفراوي الأصل، الاستانبولي الحنفي، عضو مجلس المعارف بالأستانة، وأستاذ حكمة التشريع في جامعتها.

فقد جمع آراء الكوفيين، وأقوالهم مما دونته كتب النحو المختلفة، وصنفها أبوابا، وموضوعات، على غرار كتب النحو المعروفة، وسماه. «الموفى في النحو الكوفي» . . . واستهل كتابه بقوله: «نحمدك يا اللهم على هدايتك الى الصواب» . . . . وقال في مقدمته: «أما بعد، فهذا كتاب نحو، وضعته على

---

(١) المسائل الخلافية: ص ٩٥ (٢٨ ش نحو).

(٢) المسائل الخلافية: ص ١٠٧ (٢٨ ش نحو).

(٣) هو الدكتور مصطفى جواد، الاستاذ بدار المعلمين العالية ببغداد وقد نشر بحثه في مجلة المجمع العلمي بدمشق. (جـ ١، ٢٦ - م ٢٢)

مذهب الأئمة الكوفيين ومصطلحاتهم ، إذ وجدتها أهملت ، وهي تحتاج إلى النظر والتبصر من أهل التأويل ، والفقهاء ، والعلماء ، ويبنى عليها وجوه من القراءات والروايات المتحملة عن الفصحاء والبلغاء ، فجمعتها في غضون كتاب ، من كتب كثيرة اطلعت عليها ، ورتبتها على ترتيب كتب المتأخرين ، وسميته . « الوفى فى النحو الكوفى » . «١»

* * *

وبينما كان امر الكوفيين على ماوصفت إذ كان البصريون قد ملئوا المجلدات الضخام بأقوالهم ، وأقوال شيوخهم ، والخزائن بموسعاتهم ومتونهم ورسائلهم .

(٢)

على بن حمزة الكسائى

زعموا أن جماعة من أهل الفضل جلسوا يتحدثون ، وإذا برجل كان قد ألف جماعتهم ، ومجالستهم ، جاء وقد أعيا من التعب ، فقال لهم . عيّيت فقالوا له : أنجالسنا وأنت تلحن ؟ فقال : كيف لحنت ؟ قالوا : إن كنت أردت من انقطاع الحيلة والتحير فى الأمر فقل : عييت (مخففا) ، وإن كنت أردت من التعب فقل . أعييت . (٢)

«١» الوفى فى النحو الكوفى ـ المقدمة . . . وقد طبع هذا الكتاب أخيراً بمطبعة الترقى بدمشق ١٣٧٠ = ١٩٥٠ م . وعلق عليه الاستاذ محمد بهجة البيطار عضو المجمع العلمى العربى بدمشق .

(٢) ياقوت : معجم الادباء ج ١٣ ص ١٦٨ . أبو البركات بن الانبارى : نزهة الالباء ص ٨٢ ـ ٨٣ .

ومرت الأيام والرجل يتنقل بين حلقات الدرس ، ويجلس إلى شيوخ العربية في الكوفة ، وقد برز فيها إذ ذاك ، معاذ بن مسلم الهراء ، وابو جعفر الرواسي ، حتى استوفى ماعندها ، وكان قد سمع عن البصرة ومعاهدها ، وعن أستاذ العربية فيها ، أعنى الخليل بن أحمد الفراهيدى ، فشد اليه الرحال ، ليأخذ عنه العربية .

واستغرب الجالسون إلى الخليل أن يقصد الكسائى إلى البصرة يطلب لغات الأعراب فيها ، وفى الكوفة بنو تميم ، وبنو أسد ، وعندهم الفصاحة . ولكنه جلس الى الخليل مبهوراً بما سمع منه ، ولم يلتفت الى هؤلاء بجواب ، ثم تقدم إلى الخليل يسأله عن مصادر علمه هذا . فقال له الخليل : بوادي الحجاز ونجد وتهامة . فخرج الى البوادى يتنقل بين أعرابها ، يسمع منهم ويدون مايسمعه من لغات حتى اجتمع له مما دون شيء كثير ، وحتى قال المؤرخون : إنه أنفد فى كتابة ماسمع خمس عشرة قنينة حبر سوى ماحفظ . (١)

ومر على ترحاله إلى البوادى وتجواله فيها زمن طويل رجع بعده الى البصرة وهو شديد الرغبة فى أن يرى الخليل ويجلس الى مجلسه مرة أخرى ، ولكن الخليل كان قد مات ، وتصدر مجلسه يونس بن حبيب البصرى . واتصل به الكسائى وأخذ عنه ، وجادله فى مسائل كثيرة ، أقر له يونس فيها ، وصدره فى موضعه ، وكان ذلك إجازة له أن يرأس مجالس الدرس (٢) ، وان يضع نفسه موضع الأساتيذ ، فرجع الى الكوفة ، ليذيع فيها علمه وعلم شيوخه ولكنه لم يقم فيها طويلا فقد اعتزم الاقامة فى بغداد ليقرىء الناس هناك ويملى مجالسه فى العربية على طلابها ، واتصل بالقصور وندبه الرشيد لتأديب ولديه : الأمين والمأمون وكفاه بهذا تقربا من السلطان .

---

(١) معجم الادباء جـ ١٣ ص ١٦٨ - نزهة الالباء ٨٢ - ٨٣

(٢) نزهة الالباء ص ٨٤ . ومعجم الادباء جـ ١٣ ص ١٦٨ .

ولم تكن العربية وحدها مصدر شهرته بل لم يكن معروفاً بها فى حداثته وشبابه فلم يتعلمها إلا على كبر كما قال الفراء (١) ،فقد كان له جانب ثقافى آخر عرف به وذاع به اسمه فى الامصار وهو القراءة .

ويؤخذ من الروايات التى يرويها المترجمون له أنه كان قارئا قبل أن يتعلم النحو ،فأن الخبر الذى رواه ابن الجزرى عن الفضل بن شاذان ينص على أنه كان قد مارس القراءات وعرض على حمزة بن حبيب قبل أن يمارس هذه الصناعة ، وقبل لقيه الخليل بن أحمد وخروجه الى البادية ،فقد كان الفضل بن شاذان يقول: « لما عرض الكسائى على حمزة خرج الى البدو ، فشاهد العرب » . (٢)

كان الكسائى إمام الناس فى القراءة بعد أستاذه حمزة وكان أحد الأعلام الذين يرجع اليهم الناس فى القراءات ، وكانت له حلقة « يجلس فيها على كرسى ويتلو القرآن من أوله الى آخره والناس يسمعون ويضبطون عنه » (٣) وقدمنا ذكره مقرئا فى فصل سابق

وقال خلف بن هشام : « كنت أحضر قراءته والناس ينقطون مصاحفهم على قراءته » . (٤)

ذاع اسمه فى الأمصار ونفلغل فى البيئات العلمية فكان ذلك مما دعا الرشيد أن يندبه لتأديب ولديه الأمين والمأمون .

كان الرشيد يقربه ويعظم من شأنه وكان ولداه يحترمانه ويوقرانه وكان يلازم الرشيد فى حله وترحاله وكان الرشيد يأنس بمجالسته ومصاحبته ويشيد بعلمه وفضله .

---

(١) نزهة الالباء ص ٨٢ . ومعجم الادباء جـ ١٣ ص ١٦٨ .
(٢) غاية النهاية جـ ١ ص ٥٣٨ .
(٣) ابن الجزرى : النشر جـ ١ ص ١٧٣ .
(٤) تهذيب التهذيب جـ ٧ ص ٣١٤

وذهب مع الرشيد في رحلته الى طوس ، فلما صار إلى الرى اعتل علة شديدة مات على أثرها ، ومات في نفس اليوم والمكان أيضاً محمد بن الحسن الفقيه ، وذلك سنة تسع وثمانين ومائة للهجرة . فقال الرشيد دفنا الفقه والعربية في الرّى في يوم واحد » . (١)

ولعل منزلة الكسائي عند الرشيد هي التي رفعت من شأنه وشأن نحاة الكوفة ، ولفتت نظر السلطان إليهم ، وجعلت الخلفاء يعهدون اليهم بتأديب أبنائهم .

ولا أظن هناك سبباً آخر يدعو إلى أن يفيض الدارسون في ذكر الأسباب التي جعلت بغداد تختص الكوفة بالعناية والرعاية دون البصرة ، كالذى أشار إليه الأستاذ أحمد أمين . (٢)

ولعل قرب الكوفة من قاعدة العباسيين الاولى ، الذي هيأ لرجالاتها الاتصال بالخلفاء ، والأمراء قبل تخطيط بغداد ـ وقد سبق للأستاذ أحمد أمين أن أشار اليه أيضاً ـ ، هو الذي جعل بغداد تقبل على الكوفة ، وتستقبل علماءها وفقهاءها . أما غير ذلك من أسباب سياسية فليست الكوفة بأقرب إلى بغداد من البصرة ، فكلا المصرين يعدّ مناهضا لسياسة العباسيين ، أما البصرة فلأنها معروفة بولائها للامويين ، وأما الكوفة فبالرغم من أنها شاركت في الدعوة إلى بني هاشم ، أو إلى الرضا من آل البيت ، لم تلبث ان تخرج على العباسيين وتناهض سياستهم ، وذلك بعد انكشاف حقيقة الدعوة وأنها لم تكن إلا مؤامرة حاكها العباسيون وأشياعهم ، وانخدع بها أهل الكوفة .

ولارتياب العباسيين من رجال الكوفة أمثلة كثيرة ، فقد شاركت الكوفة

---

(١) الزبيدي : طبقات النحويين ـ « الكسائى »

(٢) ضحى الاسلام ج ٢ ص ٣٤

في الثورة التي قام بها محمد النفس الزكية واخوه إبراهيم في الحجاز والعراق في عهد المنصور مشاركة لا أظن أبا جعفر نسيها أو نسيها العباسيون واتهام ابي حنيفة إمام أهل الكوفة بالتشيع ، وسجنه في ايام المنصور مثل من هذه الامثلة .

وإذا كان هناك سبب آخر يدعو الى التقارب بين بغداد والكوفة خاصة فكيف يفسر تقريب الأصمعي وأبي محمد اليزيدي وهما بصريان اطمأن الخلفاء إليهما وأنسوا بمعاشرتهما وكان لهما في حضرة الخلفاء مناظرات مع الكسائي وغيره من الكوفيين .

وإذا فطن الاستاذ أحمد أمين الى شيء عده سبباً خاصاً في تقريب اليزيدي ، وهو انه كان معلماً ليزيد بن منصور الحميري خال المهدي (١) فلم يذكر سبباً خاصاً في تقريب الأصمعي ، والاستاذ هو الذي يقول عن الاصمعي عند تعليله كثرة حفظه ومروياته : « كما أن وجوده في القصور وبين ايدي الامراء وما يتطلبه هؤلاء من سمر وأحاديث طريفة ، وحسن استمداد الأصمعي لذلك جعله يروي الشيء الكثير من ملح الاعراب في عشقهم وزواجهم ومشاكلهم وما إلى ذلك حتى ملأ جو العراق بهذا النوع من القصص ثم تناقلته الامصار » (٢)

فالكسائي إذن - فيما نرى - هو حلقة الاتصال بين نحاة الكوفة - واكثرهم تلاميذه - وبين دواوين الخلفاء ومجالس الوزراء والأمراء .

وحظوته عند الرشيد هي التي رفعت مقامه عند وزرائه وهي التي فصلت في المناظرات التي عقدت في مجالسهم بينه وبين سيبويه إمام اهل البصرة في النحو وبينه وبين غيره كالأصمعي وابي محمد اليزيدي ، وتدخلت في اغتصاب الفوز له في أكثر المسائل التي طرحت على بساط البحث بينه وبين مناظريه .

وكان كثيراً ما يشير بتحكيم أعراب كانوا قد نزلوا بالقرب من بغداد

---

(١) ضحى الاسلام جـ ٢ ص ٣٩٨

(٢) ضحى الاسلام جـ ٢ ص ٣٠٠

في المسائل التي يختلف فيها مع مناظريه وكان هؤلاء يعلمون مدى صلته بالسلطان فيقولون بقوله ،أو يلقنهم ما يريد .

قال أبو الطيب اللغوي فيما يروي ياقوت : « لولا أن الكسائي دنا من الخلفاء فرفعوا ذكره لم يكن شيئاً وعلمه مختلط بلا حجج ولا علل الا حكايات لاعراب ، مطروحة لانه كان يلقنهم ما يريد » . (١)

وقصة مناظرته مع سيبويه وتآمره مع جعفر بن يحيى وأخيه الفضل على اغتصاب الفوز (٢) معروفة ، عرفها القدماء وأحاطوا بجميع ظروفها وملابساتها ثم سجلوها شعراً ونثراً ، فلا أجد هنا مايدعوني إلى إثباتها او التعليق على موقف الكسائي وتلاميذه من سيبويه ، ذلك الموقف الذي يصور الكسائي فى صورة رجل رجل يعوزه شيء غير قليل من الأمانة العلمية .

على أن الدراس - وأن لم ينس شيئاً من الاعتبارات التي أشرنا اليها - لا يسعه أن ينكر ماللكسائي من علم وإن خالف البصريين فى منهجهم الذى كان سائدا فى البيئات العلمية ، لانه رئيس مدرسة وصاحب منهج استطاع أن يشق طريقه وأن يزاحم منهج أهل البصرة ويفرض نفسه على البيئات الدراسية في بغداد .

* * *

آثاره

أورد أصحاب الطبقات أسماء كتب كثيرة له كان قد صنفها منها: كتاب

---

(١) معجم الادباء جـ ٢ ص ٢٩٨

(٢) قال الزبيدي في طبقات النحويين عند ترجمته لسيبويه : « لما ورد سيبويه الى العراق شق امره على الكسائي فأتى جعفر بن يحيى بن برمك والفضل بن يحيى بن برمك وقال انا وليكما وصاحبكما وهذا الرجل انما تقدم ليذهب علي قالا : فاحتل لنفسك فانا سنجمع بينكما

معاني القرآن وكتاب مختصر النحو وكتاب القراءات وكتاب المدد وكتاب النوادر الكبير والصغير وغيرها . وتحت أيدينا مما صنف الكسائي رسالة في « ما تلحن فيه العوام » وجد منها نسختان مخطوطتان :

الأولى : في برلين وقد حققها وقدم لها « بروكلمان » وطبعت في « برسلاو » وفي دار الكتب المصرية نسخة من هذا المطبوع رقمها « ٢٣٧ لغة » .

والثانية : في بومباى بخزانة الجامع ضمن مجموعة من الرسائل كتبت في القرن الثاني عشر للهجرة، صححها عبد العزيز الميمني الراجكوتي وقدمها للطبع مع رسالتين أخريين إحداهما « مقالة في كلاّ » وما جاء منها في كتاب الله لابن فارس ، والثانية رسالة الشيخ ابن عربي الى الامام الفخر الرازي وعنونت المجموعة بـ « ثلاث رسائل » وطبعت في المطبعة السلفية بمصر عام ١٣٤٤ هـ .

وهي رسالة في اللغة لا في النحو تتضمن جملة الكلمات التي ينطق بها العامة على غير وجهها الصحيح كأن تكون مفتوحة الاول مثلا ، وينطقون بها مكسورة او مضمومة الأول ، وينطقون بها مفتوحة أو مكسورة ، أو تكون بالصاد ، ويلفظونها بالسين أو بالعكس ، او تكون ملازمة صفة واحدة في التذكير والتأنيث والافراد والتثنية والجمع ، فينطقون بها بالتاء مع المؤنث ، وبالزيادة مع المثنى والجمع ، وهكذا .

فمن ذلك قوله (في صفحة ٣١ من نسخة بروكلمان) : « تقول : دعه حتى يسكت من غضبه بالتاء ، ولا يقال بالنون . قال الله عزوجل : « ولما سكت عن موسى الغضب » .

وتقول : « قد نفذ المال والطعام بكسر الفاء . قال الله تعالى : « لو كان البحر مدادا لنفد البحر » .

ومن ذلك قوله - في صفحة ٣٧ - : « تقول كبد بفتح الكاف وكسر

الباء . قال الاخر .

ومن ذلك قوله في صفحة (٣٧) : « تقول : كبد ، بفتح الكاف وكسر الباء . قال الآخر :

أو كان بالفرد الحوّال لانصدعت من دونه كبد المستعصم الفرد »

وقوله في صفحة (٣٩) : « يقال : قص الشاة ، وقصصها بالصاد ، ولا يقال بالسين ، والقسّ بالسين هو قس النصارى » .

وقوله في صفحة (٤١) : « ويقال : على ثياب جدد ، بضم الدال ، والجدد بفتح الدال : الجبال » .

وقوله في صفحة (٤٦) : « وتقول : رجل جنب ، ورجلان جنب ، ونسوة جنب للمذكر والمؤنث سواء . ويقال : خاتم الشيء آخره بكسر التاء . منه قول الله عزوجل : وخاتم النبيين » .

أكبر الظن أن هذه الرسالة - إذا صحت نسبتها إلى الكسائي - هي أقدم عمل لغوي من نوعه في تاريخ العربية ، فلم أعلم أن أحداً قبل الكسائي عرض لمثل هذا الموضوع ، وصنف فيه رسالة خاصة . وهذه الرسالة تعتبر تاريخاً لظهور نتائج التفاعل بين اللغات المختلفة التي تلاقت في صعيد الامصار العراقية ، ولبداية تطور الفصحى إلى حيث آلت إلى ما هي عليه لهجة أهل العراق اليوم .

فهي رسالة في اللغة لا في النحو ، وليس فيها ما يعين على توضيح منهجه في دراسة النحو ، ومسائله ، مما يتعلق ببناء الكلمات لا بأحوال أواخرها في ثنايا التأليف .

وليس لدينا من كتبه الاخرى ما يعين على ذلك أيضاً ، ولكننا مع ذلك لانعدم ذلك إذا رجعنا الى كتب النحو والى الموجود من كتب الكوفيين ، كمجالس ثعلب ومعاني القرآن للفراء ، وراجعنا ما في هذه وتلك من نقول عنه ، ففيها للكسائي أقوال كثيرة يستطيع الدارس أن يستفيد منها في رسم صورة لمنهجه

وإن لم تكن واضحة كل الوضوح .

ومع أن مانقله النحاة عن الكسائي من أقوال وآراء لا يمثل نحواً كاملا وإنما هو اشبه ما يكون بالتعليق على آراء البصريين في المسائل التي عرضوا لها فانه يمثل وجهة نظر خاصة .

وسأحاول جاهداً أن أظفر — بما وقفت عليه من أقوال له مبثوثة في كتب النحو وأقوال قيلت فيه من بصريين وكوفيين — بصورة لمنهجه دراسة في العربية إذا لم تكن واضحة كل الوضوح فهي — فيما أظن — قريبة الشبه به .

* * *

شيوخه وتلاميذه

من السهل أن نتصور ماللشيخ من تأثير في تلاميذه ولا نعني بهذا التأثير أن يتلقوا ما يمليه عليهم من مسائل وما يجتمع لديهم من معلومات يعلقون بها ذاكراتهم ، بل التأثير المعنى هو نوع من الاتصال العقلي الذي يربط بين عقليتي الشيخ وتلميذه بنوع من التشابه تختلف درجاته باختلاف قوة الدواعي الى هذا الاتصال وضعفها ، فلا يزال التلميذ يلقى أستاذه ويأخذ عنه ويلازمه ملازمة شديدة تؤدي به الى أن يتصل به اتصالا عقلياً ينبني على محاولة تقليده ومحاكاته حتى يتم التشابه بين العقليتين ويصبح التلميذ مرآة أستاذه .

وليس لازماً أن يصل هذا التشابه بين عقليتي الشيخ وتلميذه ، فقد يكون للتلميذ الواحد شيوخ كثيرون ولكنه لا يتأثر بهم جميعاً بل لا يتأثر الا ببعضهم لان هذا التجاوب الذي يربط بين العقليتين لم يصادف من الدواعي ما يحكم السبب ويقوي الصلة بينهما فيعود التلميذ ولا أثر لأستاذه فيه

ومع ذلك فكثيراً ما يحدث هذا التجاوب ، وفي تاريخ التلمذة أمثلة كثيرة لما نحن بصدده ، فاذا بالتلميذ صورة لأستاذه أو نسخة نقلت عنه بدقة وإتقان .

فاذا ما تصورنا هذا التجاوب بين العقليتين ، والتفاعل بين النفسيتين فقد أمكننا أن نظفر بالخطوط الرئيسة التي تساعد على رسم صورة لشخصية من الشخصيات بطريق الوقوف على شيوخه ، وتلاميذه ، هذه الصورة إن لم تكن منطبقة على واقعها كل الانطباق فهي أقرب الصور اليه .

وإذا أردنا أن نرسم صورة للكسائي وشخصيته العلمية فلا غنى لنا عن أن نعرض لشيوخه ، لأنه إن تأثر بهم فقد حمل في نفسه أدق خصائصهم ومميزاتهم وأن نعرض لتلاميذه ، لأنه إن أثر فيهم فقد حملوا في نفوسهم ملامح شخصيته وخصائصها ، بنفس الطريقة التي حملت شخصيته ملامح شيوخه الذين درس عليهم وتأثر بهم .

فلنتتبع أساتيذه الذين لازمهم ، وأعجب بهم ، وتأثر خطواتهم ، لنعرف مصدر العناصر الرئيسة التي تكون منها منهج دراسته ، ولنتتبع تلاميذه ، لنقف على آثار هذه العناصر فيهم ، لنخرج من دراسته مطمئنين إلى النتيجة التي نريد الوصول إليها ، وهي :

أن الكسائي بمنهجه وأساليب دراسته ، مدرسة لها خصائصها ومميزاتها فليست المدرسة إلا أستاذاً مؤثراً ، وتلاميذ متأثرين ، وقد اجتمعوا على تحقيق غرض موحد ، ونهجوا للوصول إليه منهجا موحداً .

شيوخه :

والشيوخ الذين أخذ الكسائي عنهم قراء ونحاة . أما القراء فكثيرون ، منهم : حمزة بن حبيب الزيات ، ومحمد بن أبي ليلى ، وعيسى بن عمر الهمداني وأبو بكر بن عياش . وكان أكثر اعتماده على حمزة ، وقد خلفه في رياسة الاقراء .

وأما النحاة فقد أخذ عن معاذ بن مسلم الهراء ، وأبي جعفر الرواسي من الكوفيين ، وعن عيسى بن عمر الثقفي ، والخليل بن أحمد الفراهيدي من

البصريين ، وأكثر اعتماده على الخليل ، وآثار الخليل في نحوه واضحة، وقد ذهب الى ما ذهب اليه في مسائل كثيرة ، سنعرض لها في هذا الفصل .

فالكسائي إذن قد تخرج في مدرستين ، لكل منهما منهج خاص ، يختلف عن الآخر اختلافاً كبيراً ، فمنهج مدرسة القراءة عماده الرواية والسند الصحيح والاسناد هو الأصل الأعظم عند القراء ، ولا تجوز القراءة بالقياس المطلق قطعاً ، وكل قراءة لم تستند إلى الرواية فهي مردودة ، وان وافقت مقاييس النحاة وقوانينهم ، وقد سمعنا الشعبي يقول : « القراءة سنة ، فاقرءوا كما قرأ أولوكم».

وكانت القراءة - ولا تزال خلال العصور - قائمة على التلقي والتلقين ، رواها الصحابة عن النبي (ص) ، ورواها التابعون عن الصحابة عن النبي (ص) ورواها تابعو التابعين عن الصحابة عن النبي (ص) .

ولم تكن الرواية عماد القراءات حسب ، بل كانت عماد المعارف الاسلامية كلها في القرن الأول ، كان الفقيه يعتمد عليها في فقهه ، والمفسر يعول عليها في تفسيره ، والمؤرخ ليس له غيرها وسيلة يصل بها الى أخباره ، وهكذا سائر الدارسين ، لا يجدون ما يعتمدون عليه في دراستهم وتخصصهم غير سبيل النقل والرواية .

في هذه البيئة القرآنية نشأ الكسائي وقضى شطراً من حياته يسمع من هذا ، ويعرض على ذاك ، وروى قراءات كثيرة كان يتخير من مجموعها قراءة عرف بها من بعد، فليس غريباً أن يتأثر بمنهجها وأن يسلك نشاطه الثقافي في الاتجاه الذي الذي سارت فيه .

ومنهج مدرسة النحو عماده القياس والبحث في علل التأليف ، ولا يعنى بالرواية إلا بمقدار ما يستفيد منها في تأييد أصوله ، وتثبيت قواعده .

ولقد تعلم الكسائي العربية على كبر ، كما قال الفراء ، ودرس النحو على شيوخ القياس في البصرة ، واتصل بكثير من المنتسبين الى مدرسته ، كيونس

ابن حبيب ، وسعيد بن مسعدة الأخفش ، الذى قيل إن الكسائى درس عليه كتاب سيبويه ، وقد ظهر في آرائه وأقواله آثار لهذه المدرسة ، سنعرض لها فى هذا الفصل أيضاً .

* * *

تلاميذه :

أما تلاميذه فكثيرون ، ذكر منهم الزبيدى : الفراء ، والقاسم بن معن ، وعلى بن المبارك الأحمر ، وهشام بن معاوية الضرير ، وسلمويه ، وإسحاق البغوى وأبا مسحل بن حريش ، وقتيبة النحوى . وزاد ابن النديم : اللحيانى ، وترجم له فى نبذة موجزة (١) وذكره السيوطى في بغية الوعاة على انه من تلاميذه (٢) أيضاً .. واشهر هؤلاء جميعاً هم :

١ ـ الفراء ... وسنفرد له مقالة خاصة به فى هذه الرسالة ، لأنه من حذاق أهل الكوفة ، وله أثر كبير في نضج النحو الكوفى ، وإقامة المدرسة الكوفية .

٢ ـ اللحيانى : وهو على بن الحسن ، أو على بن المبارك ، كان من مقدمى أهل الكوفة . أخذ عن الكسائى وأبى عمرو الشيبانى من الكوفيين ، وعن أبى زيد والأصمعى ، وأبى عبيدة ، من البصريين ، وعمدته على الكسائى (٣) ، وكان قد لقى العلماء والفصحاء من الاعراب (٤) ، وكان اللحيانى أحفظ الناس للنوادر عن الكسائى والفراء ، وكان من نوادره : أنه حكى أن من العرب من يجزم بلن ، وأنشد عليها :

---

(١) الفهرست ص ٧١ ، ٧٣ .
(٢) بغية الوعاة ص ٣٤٧ .
(٣) بغية الوعاة ص ٣٤٦ .
(٤) الفهرست ص ٧١ .

لن يخب الآن من رجائك من حركك من دون بابه الحلقه (١)

وحكى أن من العرب من ينصب بلم « وعلى هذه اللغة قراءة من قرأ : « ألم نشرح لك صدرك » بفتح الحاء » (٢) ، وقول الراجز :

في أي يومي من الموت أفر أيوم لم يقدر أم يوم قدر (٣)

وحكى أن من العرب من يجزم بأن (٤) ، وعليه قول الشاعر :

أحاذر أن تلم بها فتردها فتتركها ثقلا علي كما هيا

وقول الآخر :

إذا ما غدونا قال ولدان أهلنا تعالوا الى أن يأتنا الصيد نخطب (٥)

فكان من اجل هذا أن جوز الكوفيون - وأحسب اللحيانى منهم - الجزم بها ، وقد كان أبو جعفر الرواسى يقول : «فصحاء العرب ينصبون بأن واخواتها الفعل ، ودونهم قوم يرفعون بها ، ودونهم قوم يجزمون بها »(٦) ، أما اللحيانى فذكر أن الجزم بأن لغة بنى صباح . (٧)

ويبدو أن لغة الجزم بأن كان البصريون يعرفونها ، فقد ذكر النحاة أن أبا عبيدة كان ممن حكى الجزم بها من البصريين (٨) ، وزعم السيوطى (وتبعه الصبان جـ٣ ص ٢٨٨) : أن اللحيانى من البصريين ، فقد قال حين عرض لهذه

---

(١) السيوطى : همع الهوامع : جـ٢ ص ٤ .
(٢) نزهة الالباء ص ٢٣٦ ، الهمع جـ٢ ص ٥٦ .
(٣) شرح الأشمونى جـ٤ ص ٧ .
(٤) همع الهوامع جـ٢ ص ٣ .
(٥) شرح الأشمونى جـ ٣ ص ٣٨٨ .
(٦) همع الهوامع جـ٢ ص ٣ .
(٧) - صباح : بفتح الصاد المهملة وتشديد الموحدة ، وآخره حاء مهملة ، أبو طن من ضبة - حاشية الصبان جـ٣ ص ص ٢٨٨ - .
(٨) همع الهوامع جـ٢ ص٣ .

اللغة : « وممن حكى الجزم بها من البصريين : أبو عبيدة واللحيانى » (١) ، ولكن ابن النديم وصفه بأنه غلام الكسائى (٢) ، ولو ثبت أنه من البصريين أصلا لما نافى ذلك أن يكون من الكوفيين مذهباً ، لأن المترجمين له يتفقون على أنه من أصحاب الكسائى وتلاميذه ، وعمدته على الكسائى ، وإن أخذ عن بصريين وكوفيين .

* * *

٣ - هشام بن معاوية الضرير . . . وهو أحد أصحاب الكسائى ، أخذ عنه ، واشتهر بصحبته ، وله تصانيف ذكرها أصحاب الطبقات ، ولا نعلم عنها شيئاً ، ويغلب على الظن أنه كان أبرع أصحاب الكسائى في صناعة الاعراب بعد الفراء ، يدل على ذلك أقواله وآراؤه التى دونها النحاة فى كتبهم .

وهو في أقواله النحوية يوافق أستاذه حينا ، ويخالفه ، ليوافق الفراء ومن تبعه من الكوفيين ، حينا آخر ، فما وافق فيه الكسائى

ذهابه إلى أن النائب عن الفاعل في الفعل اللازم المبنى للمفعول إنما هو ضمير المجهول (٣) ، وذهابه الى جواز صوغ أفعل التعجب من العاهات نحو : ما أعماه ، والألوان أيضاً نحو : ما احمره (٤) ، وذهابه الى أن (أم) كبل ، وتاليها كتلوها ، فاذا قلت : قام زيد أم عمرو ، فالمعنى : بل قام عمرو ، واذا قلت: هل قام زيد أم عمرو ، فالمعنى : بل هل قام عمرو . (٥)

ومما خالفه فيه : اختياره الرفع في الفعل المفصول بينه وبين (إذن)

---

(١) همع الهوامع جـ ٢ ص ٣ .
(٢) فهرست ابن النديم ص ٧١ .
(٣) همع الهوامع جـ١ ص ١٦٤ .
(٤) همع الهوامع جـ٢ ص ١٦٦ .
(٥) همع الهوامع جـ٢ ص ١٣٣ .

بمعموله ، فبعد أن اتفق معه في جواز الفصل بينه وبين (إذن) بمعمول الفعل خالفه فيما يختار للفعل بعد الفصل ، فالكسائى اختار النصب ، وهشام اختار الرفع . (١)

ومما خالفه فيه ، ووافق الفراء : تجويزه نصب (اليوم) خبراً عن الأحد والاثنين ، « وذلك لتأويلها (اليوم) بالآن ، فمعنى اليوم الأحد : أى الآن الأحد ، والآن أعم من الأحد فيصح أن يكون ظرفه » . (٢)

وربما انفرد برأى لم يقل به الكسائى ولا غيره من الكوفيين ، ومن ذلك : ذهابه إلى أن رافع الفعل هو الاسناد ، أى النسبة ، فيكون العامل معنوياً . «٣»

وذهابه إلى أن العامل فى المفعول به إنما هو الفاعل «٤» وكان يقول : « إذا قلت : ظننت زيداً قائماً ، تنصب زيداً بالتاء ، وقائماً بالظن »(٥)

ومن أصوله : قوله : «إذا عطفت على شىء لم تحتج إلى توكيده » . يقول الرضى فى تعليل هـــذا : « ولعله نظر الى ان العطف عليه دال على انك لم تغلط فيه » . (٦)

* * *

٤ ـ أما على بن المبارك الاحمر . . . فقد ذكره أصحاب الطبقات فى جملة أصحاب الكسائى ، وقدموه على أصحابه ، حتى على الفراء نفسه « لجودة

---

(١) شرح الأشمونى جـ٣ ص٢٩٢ .
(٢) شرح الرضى على الكافية ، جـ٩ ص ٣٨٣ .
(٣) همع الهوامع جـ ١ ص ١٥٩ .
(٤) همع الهوامع جـ ١ ص ١٦٥ .
(٥) الانصاف في مسائل الخلاف ـ مسألة ١١ ـ .
(٦) شرح الرضى على الكافية جـ٩ ص ٣٣٦ .

قريحته ، وتقدمه في علل النحو ، ومقاييس التصريف » (١) ، وذكروا أنه كان كثير الحفظ ، ونقلوا عن ثعلب أنه كان يحفظ أربعين ألف شاهد في النحو ، وأنه اجتمع له من التلاميذ جمع كبير ، كانوا يلازمونه ويعجبون به ، ويفضلونه على سائر أصحاب الكسائي ، حتى إنه لما مات « أراد الفراء أن يتمم ما بدأه الأحمر من إملائه الشواهد ، فلم يجتمع له الناس ، كما اجتمعوا للأحمر ، فقطع » . (٢)

ولكني لم أقف على أقوال له في النحو تؤيد زعم الأولين بتقدمه على أصحاب الكسائي في العربية ، بل لا أعلم أحداً من النحاة نقل له قولاً أو رأياً في مسألة ، الا ما جاء في همع الهوامع من أنه كان يزعم أن (ما) يستثنى بها كالا ولم ينفرد به وحده وإنما جاء اسمه مقروناً باسم الفراء (٣)

وقد تردد اسمه بين أسماء من حضر مجلس المناظرة بين سيبويه والكسائي في المسألة المعروفة : « قد كنت أظن أن العقرب أشد لسعة من الزنبور فاذا هو هي او فاذا هو إياها » . وكان أحد المتآمرين على كسب المعركة العلمية ولو على حساب العلم نفسه فانعقد المجلس وحضر سيبويه قبل ان يحضر الكسائي فوجد الفراء والاحمر وهشاما ومحمد بن سعدان قد سبقوه « فسأله الأحمر عن مسألة فأجابه سيبويه عنها فقال : أخطأت ثم سأله عن ثانية فأجابه فقال : أخطأت . ثم سأله عن ثالثة فأجابه فقال له : أخطأت . فقال سيبويه : هذا سوء أدب » (٤) وذلك لأن سيبويه كان يجيبه بالصواب وهو يخطئه .

ولعل مما يضعه في منزلته ما حكاه السيوطي من انه « لما اصاب

---

(١) نزهة الالباء ص ١٢٦ .

(٢) بغية الوعاة ص ٣٣٤ .

(٣) همع الهوامع جـ١ ص ٢٣٣

(٤) طبقات الزبيدي - سيبويه - الاشباه والنظائر جـ ٣ ص ١٥ .

الكسائي الوضع (البرص) كره الرشيد ملازمته أولاده فأمره أن يختار لهم من ينوب عنه ممن يرضاه ، وقال : إنك كبرت ولسنا نقطع راتبك ، فدافعهم خوفاً أن يأتيهم برجل يغلب على موضعه الى أن ضيق الأمر عليه وشدد ، وقيل له: إن لم تأت برجل من أصحابك اخترنا نحن لهم من يصلح وكان بلغه أن سيبويه يريد الشخوص الى بغداد والأخفش ، فقلق لذلك وعزم على ان يدخل عليهم من لا يخشى غائلته فقال للاحمر : هل فيك خير ؟ قال : نعم . قال عزمت على أن أستخلفك على أولاد الرشيد . فقال الأحمر لعلى لا آتي بما يحتاجون اليه . فقال الكسائي : إنما يحتاجون كل يوم الى مسألتين في النحو وبيتين من معاني الشعر وأحرف من اللغة وانا ألقنك كل يوم قبل أن تأتيهم فتحفظه وتعلمهم . فقال: نعم . » (١)

فالزعم بأنه شيخ العربية أو أنه احد من اشتهر بالتقدم في النحو ، او أنه - فيما قال ثعلب - كان متقدماً على الفراء في حياة الكسائي لجودة قريحته وتقدمه في علل النحو ومقاييس الصرف » (٢) إنما هو بعض المزاعم الكوفية المريضة التي يجب التثبت قبل الاقدام على تصديقها .

* * *

منهج الكسائي في دراسة النحو

ولما انتهى الكسائي من عهد التلمذة ، وتصدر في مجلس الأستاذيّة في بغداد ، كان يجتذبه منهجان متباينان ، منهج مقيّد بالنقل ، وليس للعقل من سلطان عليه ، وهو منهج أهل القراءة ، القائم على الرواية . . . ومنهج مقيّد بالعقل ، ويحاول إخضاع النقل لأحكامه ما استطاع إلى ذلك سبيلا ، وهو منهج

---

(١) بغية الوعاة ص ٣٣٤ .

(٢) نزهة الالباء ص ١٢٦

أهل العربيّة ، القائم على القياس .

ويبدو أنّه انتهى إلى أن ينتهج في حياته العلمية منهجاً وسطاً ، فيه ظلال مدرسته الأولى وآثار مدرسته الثانية ، ولم يستطع أن يخلص لأحد المنهجين ، لأن كلاً منهما كان قد ترك في نفسه أثراً .

ومن مظاهر التقاء المنهجين في نفسه أنه كان يتخير قراءته من قراءات كثيرة ، كأنه كان يحاول التوفيق بين القراءات المختلفة من جهة ، وبين آرائه في العربية من جهة أخرى .

ومن مظاهره في نفسه أيضاً أن كان يأخذ بروايات الأعراب الذين لم يدخلهم البصريون في حساب مصادرهم اللغوية ، كالأعراب الذين عاشوا في قرى سواد بغداد وغيرهم .

وكأنّ القدماء كانوا قد شعروا بهذا المصير الذي صار إليه الكسائي ، ولكنهم لم يستشفّوا واقع الأمر ، ولم يدركوا الأثر الذي تركته في نفسه دراسته الأولى ، فراحوا ينعون عليه هذا الخلط بين طريقة أهل العربية وطريقة أهل القراءة ، فكان أبو زيد - فيما يروي ياقوت - يقول : « قدم علينا الكسائيّ البصرة ، فلقي عيسى والخليل وغيرهما ، وأخذ منهم نحواً كثيراً ، ثم صار إلى بغداد فلقي أعراب الحطمية ، فأخذ عنهم الفساد من الخطأ واللحن ، فأفسد بذلك ما كان أخذه بالبصرة كله » (١) .

والواقع أنه لم يستطع التخلص من آثار ثقافته الأولى ، فعني بأعراب الحطمية ، كما عني بغيرهم من أعراب البوادي العربية ، الذين كان قد تنقّل بينهم ، وأخذ عنهم في أثناء رحلته الطويلة في بوادي الحجاز ونجد وتهامة ، كما أشار به الخليل عليه .

وموجز الحديث عن منهجه في دراسة النحو في ضوء ما ذكرنا :

---

(١) معجم الأدباء جـ ١٢ ص ١٨٢

١ ـ أن نحوه لم يتأثر بالفلسفة الكلامية تأثراً مباشراً ، ولم ينقل عنه أنه اتصل بآراء المتكلمين ، أو وقف على شيء من الثقافة الأجنبية ، كما هو شأن نحاة البصرة الذين قيل إنهم مهدوا السبيل للحكمة الأجنبية أن تغزو مباحثهم النحوية ، لذلك ، إن نحوه يكاد يكون خلواً من أي أثر فلسفي مباشر ، اللهم إلا ما جاءه عن طريق دراسته النحو البصري ، الذي كان متأثراً بمذاهب أصحاب الكلام ، فلم يكن للعامل النحوي عنده مالهعند نحاة البصرة ،من قوة استعاروها له من العلة الفلسفية ، ولم يتصوّر المعمولات النحوية ، كما كان البصريون يتصورونها ، فقد يجعل للعامل معمولين في آن واحد ، ومن جهة واحدة ، كما هو مذهبه في جواز أن يعمل الفعل المتعدى إلى واحد في الاسم وفي ضميره ولا يستلزم ذلك عنده ما يستلزمه عند المتكلمين من القول بتأثر معلولين بعلة واحدة ، فهو ينصب (زيداً) في قولهم : « زيداً ضربته » بالفعل الذي بعده لا بفعل محذوف مفسر . والفعل الظاهر عنده يكون ناصباً (زيداً) ، وضميره ، ولا يهمه أن يؤدى ذلك إلى الاعتراض عليه بتعدية الفعل إلى اثنين ، مع أنه لا يتعدى بنفسه عند البصريين إلا إلى مفعول واحد (١)

وقد يتصور فعلا ، ولا فاعل له ، كما هو معروف من مذهبه ، فقد كان يذهب الى جواز خلو الفعل من الفاعل ، مع أن الفعل عند النحويين المناطقة لا بد له من فاعل ، فهو بناء على هذا لا يحتاج إلى تقدير الفاعل ، او تأويله في أول الفعلين المتنازعين عند إعمال الثاني (٢)

* * *

٢ ـ وكان يعنى باخبار الآحاد التي صح سندها ، أو بالشواذ من كلام

---

(١) شرح الرضي على الكافية جـ ١ ص ١٦٣

(٢) شرح الرضي على الكافيه جـ ١ ص ٨٧

العرب ، الذين يثق بفصاحتهم ، ولو كانوا من أعراب الحطمية (١) وكان يقيس على ما جاء من هذه الشواهد والامثلة التي كانت تخالف الأصول البصرية المقررة:

كمذهبه في (جوار) ، فليست هي عنده كالمنقوص في اللفظ ، وإنما كان يجريها مجرى الممنوع من الصرف ، فيجرها بالفتحة ، استناداً إلى ما جاء من قول الفرزدق :

فلو كان عبد الله مولى هجوته ولكن عبد الله مولى مواليا

وقد سبقه الى القول بهذا من البصريين : عيسى بن عمر الثقفي ، وأبو زيد الانصاري (٢) أما سائر البصريين الآخرين فكانوا يجرون ذلك مجرى المنقوص، وهو رأي سبق أن نبه عليه عبد الله بن أبي اسحاق الحضرمي ، وغلط به الفرزدق في بيته المذكور ، وقصته معروفة ، وعده سيبويه من الضرورات التي يضطر إليها الشاعر ، فقد قال بعد أن ذكر بيت الفرزدق وبيت الهذلي :

أبيت على معاري واضحات بهن ملوب كدم العباط (٣)

« فلما اضطروا إلى ذلك في موضع لابد لهم فيه من الحركة أخرجوه على الأصل » (٤) .

وكمذهبه في جواز إضافة (حيث) إلى المفرد قياساً ، تمسكا بقول الشاعر وقد انشده ابن الأعرابي :

ونطعنهم حيث الحبى بعد ضربهم ببيض المواضي حيث لي العمائم

---

(١) الحطمية قرية على فرسخ من بغداد من الجانب الشرقي منسوبة الى السري بن الحطم احد القواد

(٢) شرح الرضي على الكافية جـ ١ ص ٥٨

(٣) المعاري هنا : الفراش ، والواضحات : البيض ، والملوب: الملطيب ، والعباط : جمع عبيط أو عبيطة ، وهي التي نحرت لغير علة . الشنتمري : الكتاب جـ ٢ ص ٥٩

(٤) الكتاب جـ ٢ ص ٥٩

يقول ابن هشام : «ويمكن أن يخرج عليه قول الفقهاء : من حيث أن كذا . بفتح همزة أن » . «١»

لذلك كان الكسائي هدفاً لنقدات البصريين الذين يعنون بالاصول العامة المبنية على الأغلب والأفشى . أما المسائل التي تشذ عن هذه الاحكام فمحكوم عليها بالشذوذ تحفظ إذ لم يستطيعوا إنكارها لثبوت صحتها وروايتها عن الفصحاء ، ولكنهم لا يقيسون عليها .

أما الكسائي فكان يمتد كل الاعتداد بهذا وأمثاله وكان يقيس عليه ، وإن لم يرد في كلام العرب غيره ، ولذلك كان ابن درستويه - وهو من تلاميذ المدرسة البصرية ومن أصحاب ابي العباس المبرد - يقول : «كان الكسائي يسمع الشاذ الذي لا يجوز إلا في الضرورة فيجعله أصلا ويقيس عليه فافسد النحو بذلك » (٢) .

وليس أدل على اعتداده بالرواية عن العرب مما كان بينه وبين عيسى بن عمر الثقفي البصري ، فقد جمعهما الحسن بن قحطبة أول ما دخل بغداد ودارت المساءلة بينهما على هذا النحو :

« قال الكسائي : فسألته عن «همك ما أهمك » . قال فذهب يقول : يجوز كذا وكذا ويجوز كذا . قال : فقلت : عافاك الله إنما أريد كلام العرب ولم تجيء بكلام العرب » (٣)

* * *

٣ - والكسائي مع هذا كان ممن يعنون بالقياس أيضاً . وأغلب الظن أن عنايته به أثر من آثار المدرسة البصرية فكان يقول :

---

(١) المغني لابن هشام ص ١١٧

(٢) البغية ص ٣٣٧

(٣) مجالس اللغويين والنحاة - لوحة ٥٦ (مصورة عن نسخة شهيد علي باستانبول)

إنما النحو قياس يتبع ... وبه فى كل علم ينتفع (١)

ولكن قياسه يختلف عن قياس البصريين من حيث التطبيق ، فبينما نجد البصريين يكرّنون أصلا من الأصول ، بعد استقراء يقتنعون بصحة نتائجه ويقيسون المسائل الجزئية عليه إذا توافر فيها علة ذلك الأصل ، إذ تجد الكسائي يكتفى بالشاهد الواحد يسمعه من أعرابي يثق بفصاحته ، ليقيس عليه ، وإن كان هذا الشاهد المسموع مما لانظير له ، ومما يعده البصريون شاذا لايعتد به .

وربما غلط البصريون ، ولحنوه ، لأن مصادر سماعهم التى رسموها ، وقيدوا بها الدارسين لم يلتزم بها الكسائي ، بل لقد وسع دائرة مصادره ، حتى ألحق بها أعراب الحطمية ، وأعراب سواد بغداد ، وهم عند البصريين من غير أهل الفصاحة ، وممن لايجوز الأخذ منهم ، فاعتداد الكسائى وأخذه عنهم يعد فى نظرهم إفساداً للغة ، وقواعدها .

وقد سمعنا أبا زيد ، وهو أحد شيوخ المدرسة البصرية ، ينعى على الكسائي لقيه أعراب الحطمية وأخذه عنهم ، ويتهمه بافساد ما أخذه بالبصرة كله . وعلل بعضهم هذا الافساد بمثل ما علل به ابن درستويه ، فقال : « كان يسمع الشاذ الذى لايجوز من الخطأ واللحن ، وشعر غير أهل الفصاحة والضرورات فيجعل ذلك أصلا ، ويقيس عليه ، حتى أفسد النحو » (٢)

وهذا الافساد الذى اتهم البصريون به الكسائي إنما هو إفساد لأصولهم ومقرراتهم . أما كونه يمس اللغة ، او يمس النحو ، فيحتاج إلى برهان ، لا أظنهم استطاعوا أن يأتوا به .

٤ ـ وقد تأثر الكسائى البصريين ، فأخرج الحديث عن نطاق المصادر التى يحتج بها أو يستدل بها على إثبات أصل او تصحيح حكم . قال أبو حيان :

---

(١) تاريخ بغداد جـ ١١ ص ٤٩٢ وبغية الوعاة ص ٣٣٧

(٢) معجم الادباء جـ ١٣ ص ١٨٢

« إن الواضعين الأولين لعلم النحو المستقرئين للأحكام من لسان العرب كأبي عمرو ابن العلاء وعيسى بن عمر والخليل بن أحمد وسيبويه من أئمة البصريين ، والكسائي والفراء وعلي بن مبارك الاحمر وهشام الضرير من أئمة الكوفيين ، لم يفعلوا ذلك ، وتبعهم على هذا المسلك المتأخرون من الفريقين » (١)

إن امتناع الكسائي عن الاستشهاد بالحديث والاحتجاج به — فيما أظن — أثر من آثار المدرسة البصرية ، وهو غريب يدعوا الى التأمل . وخاصة بعد أن عرفنا عن الكوفيين جميعاً : « أنهم لو سمعوا بيتاً واحداً فيه جواز شيء مخالف للأصول جعلوه أصلا وبوبوا عليه » ، وأن الكسائي بصفة خاصة مقرىء اعتمد كل الاعتماد في قراءته على الروايات ، كما هو شأن أئمة القراءة في موقفهم من القراءات والحروف .

وأكبر الظن أن الكسائي — بالرغم من كونه مؤسس المدرسة الكوفية — لم يكن نحوه كوفيا خالصاً ، ولم يستطع التخلص من آثار شيوخه البصريين ، فكان يعتمد على كثير من آرائهم واتجاهاتهم ، وكان يوافقهم — يوافق الخليل بن احمد خاصة — في مسائل كثيرة خالفه الكوفيون فيها من بعد واتخذوا لهم فيها آراء جديدة تتسق مع ما يتطلبه منهجهم . فمن هذه المسائل :

رأيه في « لن » فقد اقتفى اثر الخليل في القول بتركيبها من لا وأن . (٢)

ورأيه في محل « ان المصدرية وما بعدها » بعد حذف الخافض كما في قولهم عجبت أن تقدم على هذا . فقد تابع الخليل في القول بأنه الجر . (٣)

---

(١) الاقتراح حيدر آباد ص ١٧

(٢) المغني ص ٢٢١ شرح الاشموني ج ٣ ص ٢٧٩ .

(٣) شرح الرضي على الكافية ج ٣ ص ١٨٣

وذهابه الى فعلية (نعم وبئس) ، (وما أفعل) فى التعجب متابعاً فيه البصريين فى كونهن افعالا . (١)

وذهابه إلى أن ما) في قولهم : «نعمّا هى» معرفة تامة بمعنى الشيء (٢) وهو في هذا يقول بمقالة سيبويه ، فقد جاء في الكتاب : « وغسلته غسلا نعمّا ، أي نعم الغسل » (٣) فما ، هو الفاعل ، لكونه بمعنى ذي اللام (وهي) مخصوص .

وذهابه إلى أنه لايجوز ترخيم ما كان على ثلاثة أحرف (٤) وهو مذهب الخليل ، وسيبويه ، فقد جاء في الكتاب : « اعلم أن كل اسم على ثلاثة احرف لايحذف منه شيء إذا لم يكن آخره الهاء ، فزعم الخليل أنهم خففوا هذه الاسماء التي ليست أواخرها الهاء ليجعلوا ماكان على خمسة على أربعة وماكان على أربعة على ثلاثة ، فانما أرادوا أن يقربوا الاسم من الثلاثة او يصيروه اليها ، وكان غاية التخفيف عندهم ، لأنه أخف شيء عندهم في كلامهم ،ما لم ينتقض فكرهوا أن يحذفوه إذا صار قصاراهم أن ينتهوا إليه » (٥)

والكسائى بعد هذا ـ مؤسس مدرسة الكوفة « الذى رسم للكوفيين رسوماً فهم الآن يعملون عليها » (٦) لانه فيما نعلم أول كوفى خرج على اساليب البصريين ، وخالفهم في كثير من آرائهم وغير كثيراً من أصولهم ، ولأننا سنلمس آثار منهجه في دراسة النحو واضحة في منهج من جاء بعده من أساتيذ النحو الكوفي .

---

(١) شرح الاشمونى جـ ٣ ص ١٨ ، ٢٧
(٢) شرح الرضي على الكافية جـ ٢ ص ٣٤٦
(٣) الكتاب جـ ١ ص ٣٧
(٤) الانصاف « مسألة ٤٩ »
(٥) الكتاب جـ ١ ص ٣٧
(٦) الاغاني جـ ٩١ ص ١٠٢

(٣)

يحيى بن زياد الفراء

جلس الكسائي يوماً ، وحوله أصحابه ، فأقبل عليه رجل يحيط به بعض أصحابه وهو يعزم مساءلة الكسائي وإعناته ، فسأله عن مسائل من مسائل ابي جعفر الرواسي أحد علماء العربية في الكوفة ، فأجابه الكسائي بخلاف ما عنده ، فغمز من كان معه ورأى الكسائي ما فعل فقال : « مالك قد انكرت لعالك من أهل الكوفة ! » فقال : نعم . فعرف أنه إنما يسأله من مسائل أبي جعفر الرواسي ، فقد سبق أن قرأ الكسائي عليه وأخذ عنه وأحاط بما عنده قبل أن يقصد الى البصرة ويحضر مجلس الخليل ويأخذ عنه ، وقبل أن يشد الرحال إلى البوادي العربية يسمع من الأعراب .

فالتفت إليه وقال : « الرواسي يقول : كذا وكذا ، وليس صوابا ، وسمعت العرب تقول : كذا وكذا ، حتى أتى على مسائله (١) .

ولم يقتنع الفراء بادىء الأمر ، وظل يتحين الفرص لاعنائه وإفحامه ليتم له ما قصد اليه ، فقد حدثنا صاحب كتاب « مجالس اللغويين والنحاة » (٢) عن توبة بن دراج أنه قال : « سمعت الفراء يقول : كنا بالرقة وكان الناس قد كثروا على الكسائي فشغلوه عنا ، فعملت له مسائل فيها محال وفيها صواب ، فأقبل يقول ، فيصيب ويغلط لما شغله من الناس ، فلما صار إلى منزله كتب إلي رقعة فاعاد إلي فيها ما سألته ، فقال فيها بالصواب كلها وقال : كنت مشغولا بما

---

(١) فهرست ابن النديم ص ٩٦ نزهة الالباء ص ٦٥ ، ٦٦ .

(٢) هو فيما يظن السيوطي - أبو القاسم الزجاجي ، كما جاء في الاشباه والنظائر ج ٣ ص ١٢

كان عندي ، وقد ظننت أنك أردت ببعض مسائلك أن تتفضلني ، وقد قيل :

ولا تبسغ التفضل إن فيه تفرق بين ذات الأصفياء

ولا ينبغي لمثلك أن يفعل معي ذلك . قال الفراء : فبلغ مني هذا القول كل مبلغ ، وكأني فجرت به منه بحراً (١) .

أعجب به الفراء حينئذ ، ورأى منه مالم يكن يراه من ابي جعفر الرواسي وغيره ولازمه ، واخذ عنه كثيراً .

ولا نعرف عن حياة الفراء الاولى كثيراً ، لأنه لم يكن من ذوي الأسر التي يحسب الكتاب والمؤرخون لها حساباً ، ويملئون الصفحات بكل تافه من ألوان حياته المترفة ، فقد كان أبوه مولى لقبيلة عربية انتسب إليها كثير من الصحابة ، وغيرهم وهي قبيلة بني منقر (بكسر الميم وسكون النون وفتح القاف) ، ونشأ كما ينشأ أولاد الفقراء ، ينتهب حقه في الحياة انتهاباً ويفرض شخصه على الزمن فرضاً ، ولم يفتح التاريخ عينيه على يحيى بن زياد إلا وهو شاب عرفه زملاؤه بنفاذ الذهن ، ودقة الحس ، وقـــدر له أستاذه أبو جعفر الرواسي مستقبلا علمياً جليلا .

وأصحاب الطبقات يتحدثون : أنه درس على أبي جعفر الرواسي ، كما فعل الكسائي من قبل ، وذهب الى بغداد ، لأنها كانت إذ ذاك غاية الطالبين ، أو لأن أبا جعفر زين له الذهاب اليها قاصداً بذلك الى منافسة الكسائي ، لأنه لم يعد على وفاق معه ، كما يبدو من حكاية أبي البركات بن الأنباري : من أن الرواسي قال للفراء ، حين حثه على الذهاب الى بغداد : « قد خرج الكسائي إلى بغداد ، وانت أميز منه » (٢) ، أو لأن الكسائي لم يعد يرى في الرواسي إماما بعد أن جلس إلى حلقة الخليل بن أحمد في البصرة ، وأخذ عنه ، وبعد أن خرج إلى

(١) مجالس اللغويين والنحاة - لوحة رقم ٧٨ .

(٢) نزهة الألباء ، ص ٦٥

البوادي العربية، وسمع من أعرابها ، وأخذ كثيراً عنهم ، كما تشعرنا به المحاورة التي جرت بين الكسائي والفراء حينما اعتزم هذا مساءلة الكسائي بمسائل أبي جعفر .

ومن الأخبار المتفرقة هنا وهناك عرفنا أنه ذهب الى البصرة ليجلس إلى شيوخها ' وأكبر الظن أن الذهاب الى البصرة إذ ذاك كان لا بد منه لمن يريد أن يلم بصناعة الاعراب، فقبله كان أبو جعفر الرواسي قد درس في البصرة على أبي عمرو بن العلاء وعيسى بن عمر الثقفي ، وقبله أيضاً كان الكسائي قد أخذ عن عيسى بن عمر وتلمذ للخليل بن أحمد .

كان ذهابه إلى البصرة ـ كما يبدو من تلك الأخبار ـ متأخراً، لأنه لم يدرك الخليل بن أحمد ، ولم يسمع أنه جلس الى مجلسه ، والنحوي البصري الذي قالت الأخبار إن الفراء اتصل به هو يونس بن حبيب الذي تصدر للتدريس مجلس الخليل بعد وفاته ، وكان يونس أسن من الخليل لأنه توفي سنة ثمان وثمانين ومائة الهجرة بعد أن عاش ثماني وثمانين سنة ، بل قيل إنه جاوز المائة . (١)

لقي الفراء يونس في البصرة وأخذ عنه وظهر ذلك فيما وافقه من مسائل كما ذكر ابن هشام من أن يونس والفراء قالا بوقوع « الذي » مصدرية (٢) . وروى عنه في اللغة وشواهد النحو ،وقد عرض أبو البركات بن الأنباري لبعضها ووقف بتلمذته له على نحو البصرة .

وكان يونس إماماً من أئمة العربية البصريين ،وكان من الذين درس عليهم سيبويه قبل اتصاله بالخليل ونقل عنه في كتابه أقوالا كثيرة ،وتردد اسمه في ثمانين ومائة موضـــع من كتابه بل إنه اعتمد على أقواله في بابين كاملين من

---

١ ـ فهرست ابن النديم ص ٦٣ ، طبقات النحويين للزبيدي ـ يونس ـ .
٢ ـ الأشباه والنظائر للسيوطي جـ١ ص ٤٠ .

أبواب كتابه . (١)

ولا يبعد أنه لقي كثيراً من الفصحاء الذين كانوا ينتابون البصرة ويتصلون بعلمائها ، وظل يعتمد عليهم وينمي مادة درسه بسماعه منهم حتى بعد خروجه إلى بغداد حيث لقي أبا زياد الكلابي (٢) وهو يزيد بن عبدالله بن الحر الأعرابي البدوي ، ذكره ابن النديم في جملة الفصحاء الذين سمع العلماء منهم (٣) وكان يزيد هذا - كما حكى ابن النديم عن دعبل - قد قدم الى بغداد أيام المهدي حين أعذبت الناس المجاعة وأقام بها أربعين سنة وبها مات . (٤)

وأخذ عن أعراب آخرين كانوا قد نزلوا بغداد أيضاً كأبي فقعس وأبي دثار ، وأبي الجراح ، وأبي ثروان وقد ذكر ابن النديم الثلاثة الأولين في جملة الفصحاء الذين نقل أسماءهم من خطوط العلماء . (٥)

وقد قال فيهم الكسائي ، يخاطب يحيى بن خالد بن برمك : « هذه العرب ببابك ، قد جمعتهم من كل أوب ، ووفدت عليك من كل صقع ، وهم فصحاء الناس ، وقد قنـــع بهم أهل المصرين ، وسمع أهل الكوفة ، وأهل البصرة منهـــم » . (٦)

وكان ذهاب الفراء الى البصرة ورجوعه الى بغداد - في أكبر الظن -

---

(١) وهما : الباب الخاص بتصغير نحو حمراء وصفراء (مما كان على ثلاثة أحرف ثم لحقته همزة التأنيث فصار على خمسة أحرف . . والباب الخاص بتصغير ما كان على أربعة أحرف فلحقته ألف ونون كما لحقت عثمان . - الكتاب : جـ٣ ص ١٠٦ ، ١٠٨ ، ١٠٩ - .

(٢) المزهر : جـ ٢ ص ٢٥٦ .

(٣) فهرست ابن النديم . ٦٥ - ٧٢ .

(٤) الفهرست ص ٦٧ .

(٥) الفهرست ص ٧٠ - ٧١ .

(٦) طبقات النحويين للزبيدي - سيبويه - .

خلال السنوات الأربع ، أو الخمس ، التي كانت بين وفاة الخليل ، وقدوم سيبويه إلى بغداد لمناظرة الكسائي ، لأن الفراء كان إذ ذاك ضمن الجماعة التي أحاطت بالكسائي لمؤازرته في أثناء المناظرة ، ومهدت لاخفاق سيبويه بمساءلته ، وتخطئته قبل حضور مناظره . وكان الفراء ممن عرف إذ ذاك بمصاحبة الكسائي فان سيبويه بعد ما لقي من علي بن المبارك الأحمر والفراء ما لقي قال لهما : « لست أكلمكما أو يحضر صاحبكما »(١)

ومنذ ذلك اشتدت غيرته على أستاذه ، وتعصبه على سيبويه ، مع أنه قرأ كتاب سيبويه وأفاد منه ، ووجد بعضه تحت وسادته كما مر من رواية النحاس وكما يقول السيوطي : « كان زائد العصبية على سيبويه وكتابه تحت رأسه » (٢) حتى إن النسخة التي أهداها الجاحظ إلى الوزير محمد بن عبد الملك الزيات كانت بخط الفراء ومراجعة الكسائي . (٣)

قال الجاحظ : « أردت الخروج إلى محمد بن عبد الملك الزيات وزير المعتصم ففكرت في شيء أهديه له فلم أجد شيئاً أشرف من كتاب سيبويه فلما وصلت إليه قلت له : لم أجد شيئاً أهديه لك مثل هذا الكتاب وقد اشتريته من ميراث الفراء فقال : والله ما أهديت لي شيئاً أحب إلي منه » . (٤)

ويقال إن الجاحظ لما وصل إلى ابن الزيات أراد أن يعلمه بأنه أحضر معه كتاب سيبويه وأنه يرغب في إهدائه له . « فقال له ابن الزيات . أو ظننت أن خزائننا خالية من هذا الكتاب ؟ فقال الجاحظ : ماظننت ذلك ولكنها بخط الفراء ، ومقابلة الكسائي ، وتهذيب عمرو بن بحر الجاحظ ـ يعني نفسه ـ فقال

---

(١) طبقات النحويين للزبيدي ـ سيبويه

(٢) بغية الوعاة ص ٤١١

(٣) دائرة المعارف الاسلامية ـ سيبويه .

(٤) ابن خلكان : وفيات الأعيان ج ١ ص ٤٨٧ .

ابن الزيات : هذه أجل نسخة توجد ، وأعزها . فأحضرها إليه فسر بها ووقعت منه أجل وقع » (١)

وبالاضافة إلى ماعني به الفراء من رواية اللغة ودراسة صناعة الاعراب كان قد عني بالقرآن ، بتفسيره وورواية أحرفه وكان قد أخذ بعض هذه الأحرف عن الكسائي ، وعده ابن الجزرى في جملة من رواها عنه وإن قال ، إنه من المقلين . (٢)

وكان للفراء كثير من الأعمال القرآنية متمثلة في كتاب « معاني القرآن » وكتاب « المصادر في القرآن » وكتاب « الجمع والتثنية في القرآن » . واختلطت هذه الأعمال بعضها ببعض فكان منها نحو الفراء .

وذلك لأن للنحو عند الكوفيين صلة بالأعمال القرآنية بل لا يزال النحو مسخراً لخدمة القرآن وأحرفه ، والقراءات في نظر نحاة الكوفة كانت من المصادر التي اعتمد عليها النحو الكوفي .

وقد عاش الفراء في زمن كان علم الكلام فيه قد خطا خطوات واسعة وكان منهجه قد أخذ يطغى على المناهج الدراسية فلا يبعد أن يكون الفراء كان قد وقف على شيء من علم الكلام واتصل بأصحابه بل قيل إنه كان متكلماً يميل إلى الاعتزال وإنه كان يتفلسف في تصانيفه ويستعمل ألفاظ الفلاسفة . (٣)

وكان بينه وبين ثمامة بن أشرس أحد أئمة المعتزلة صحبة وقد بدأت بينهما يوم تصدى الفراء للاتصال بالمأمون واختلف إلى بابه « فلما أن كان ذات يوم جاء ثمامة . قال : فرأيت له أبهة أدب فجلست إليه ففاتشته عن اللغة فوجدته بحراً ، وعن النحو فشاهدته نسيج وحده ، وعن الفقه فوجدته فقيهاً عارفاً باختلاف القوم ،

---

(١) وفيات الأعيان جـ ١ ص ٤٨٧

(٢) ابن الجزرى : غاية النهاية جـ ١ ص ٥٣٦ .

(٣) معجم الأدباء جـ ٢ ص ١٠ . فهرست ابن النديم ص ٩٩ .

وفي النجوم ماهراً وبالطب خبيراً وبأيام العرب وأشعارها حاذقاً . فقلت : من تكون ؟ وما أظنك إلا الفراء . فقال : أنا هو . فدخلت على أمير المؤمنين فأعلمته فأمر باحضاره لوقته فكان سبب اتصاله به (١)

ثم إن تقريب المأمون إياه مما يؤيد ميله إلى الاعتزال لأن موقف المأمون من المتكلمين وتقريبه أتباع المعتزلة معروف لأنه كان منهم وكان شديد التعصب لمذهبهم وكان ممن قال بخلق القرآن وبالغ في ذلك حتى عمد إلى تسخير قوة الدولة في فرض هذا الرأى ، وأمر أن يؤخذ على قضاة الدولة عهد ألا يقبلوا شهادة من لا يقول بخلق القرآن .

فالفراء إذن - بالاضافة إلى تخصصه في العربية والقرآن - كان قد أفاد من الثقافات الجديدة ، كما سمعنا من ثمامة بن أشرس ، في حديثه عنه ، ومقابلته إياه ، ومفاتشته عن تلك الألوان الثقافية المتنوعة ، لذلك أعجب به المأمون ، وقربه منه ، وعهد إليه بتأديب ولديه ، وبلغ الفراء من أنفسهما مبلغاً عظيماً ، حتى بالغا في إكرامه وإعظامه ، وأظهرا له من التوقير والاحترام ما جعل المأمون يوماً يسأله عمن هو أعز الناس ، فاذا قال الفراء : أعز الناس أمير المؤمنين . قال له المأمون : بل أعزهم من إذا نهض تقاتل على تقديم نعليه وليا عهد المسلمين ، حتى يرضى كل واحد منهما أن يقدم له فرداً . في قصة معروفة مشهورة (٢)

وبلغ من إعجاب المأمون به ، ووثوقه بحذقه أن أمره أن يؤلف ما يجمع به أصول النحو ، وما سمع من العرب ، وهيأ له كل ما يلزمه للقيام به ، ودعا الوراقين إليه ليكتبوا ما يمليه عليهم ، وينسخوه ، حتى صنف كتاب الحدود . (٣)

---

(١) نزهة الألباء ص ١٣٣ شذرات الذهب لابن العماد جـ ٢ ص ١٩ .
(٢) نزهة الألباء ص ١٣٠ - ١٣٢ .
(٣) نزهة الالباء ص ١٢٨ .

وكان ابن النديم يرى لتأليف كتاب الحدود سبباً آخر، فقد ذكر « أن جماعة من أصحاب الكسائي صاروا إليه وسألوه أن يملي عليهم أبيات النحو ففعل، فلما كان المجلس الثالث قال بعضهم لبعض : إن دام هذا على هذا علم الصبيان، والوجه أن يقعد عنه فغضب وقال : سألوني القعود فلما قعدت تأخروا. والله لأملين النحو ما اجتمع اثنان، فأملى ذلك ست عشرة سنة » .(١)

ويبدو لي أن كتاب الحدود وما تضمنه من فصول، من حد الاعراب في أصول العربية، وحد النصب المتولد من الفعل وحد (من ورب) وحد المدة وغير ذلك من الحدود التي تعرض لموضوعات النحو المختلفة ـ كما ذكر ابن النديم (٢) ـ عمل ضخم لا يبعد أن يكون قد بدأه قبل اتصاله بالمأمون بدأه باملائه طوال هذه المدة، ولم ينسخ ما أملاه إلا بعد اتصاله بالمأمون وتهيئته لما كان يحتاج إليه الفراء لنسخه من أدوات وروراقين، فحين اتصل بالمأمون في السنوات الثلاث الأخيرة من عمره كان الكتاب قد تمت موضوعاته وتهيأت مواده .

تدل الحدود التي ذكرها ابن النديم على أن الفراء كان قد عرض لجميع أبواب النحو وأن له في كل موضوع منها رأياً وإنه في الواقع لكذلك، واقواله الكثيرة المبثوثة في كتابه « معاني القرآن » والتي نقل النحاة كثيراً منها في كتبهم تؤيد ما ذهبت اليه .

وعندي أن الفراء أشبه النحاة بالخليل بن أحمد ـ مع بعض الفروق بينهما ـ حذقا وسعة اطلاع واستفادة من الثقافات الأجنبية التي عرفت في البيئات الدراسية .

وكان الكوفيون لذلك يرون فيه مثالا جديداً لم يروا له نظيراً بين أصحابهم، فقال قائل منهم : « لولا الفراء ما كانت اللغة، لأنه حصلها وضبطها ولولاه لسقطت

---

(١) فهرست ابن النديم ص ٩٩ .

(٢) فهرست ابن النديم ص ١٠٠ .

العربية لأنها كانت تتنازع ويدعيها كل من أراد ويتكلم الناس عليها على مقادير عقولهم وقرائحهم فتذهب » . (١)

وقال قائل آخر : « لولم يكن لأهل بغداد من علماء العربية إلا الكسائى والفراء لكان لهم بهما الافتخار على جميع الناس » وقال : « الفراء أمير المؤمنين فى النحو » . (٢)

إلى غير ذلك من المبالغات التى كانت تنبعث من إعجابهم بالفراء وبما كان عليه من بصر بالعلوم وحذق بالعربية من جهة، والتى كان يحملهم عليها تعصبهم الشديد ومنافستهم القوية لأهل البصرة الذين كانوا يفخرون بالخليل ابن أحمد وتلميذه سيبويه وبكتابهم الذى نعتوه بأنه قرآن النحو وقالوا فيه : من أراد أن يعمل كبيراً فى النحو يعمد كتاب سيبويه فليستحي ، والذى إذا أراد إنسان أن يقرأه قالوا له: هل ركبت البحر؟ تعظيما له واستصعاباً لما فيه من جهة أخرى .

وبالمقارنة بين الفراء والكسائي نجد أن الكسائى كان نحوياً ، وكان قارئاً، لا يغلب عليه أحد الوصفين ، وأن الفراء كان قد غلب عليه الجانب اللغوى ، وإن كانت له دراسات فى القرآن وتفسيره وروايات لأحرفه .

والفراء من حيث تطور الدراسات القرآنية فى الكوفة كان يمثل الدور الثانى لمدرسة الكسائى ، وهى المدرسة القرآنية النحوية التى ظهرت فى الكوفة، والتى تعتمد على الاقراء ، والاعراب بمعناه الاصطلاحى جميعاً .

وإذا كان الكسائي قد وضع أسس هذه المدرسة الجديدة ، وجمع لها مادة درسها ، ورسم المنهج الذى يعتمد عليه إنشاؤها ، فان الفراء قد تكفل بإتمام البناء

---

(١) معجم الأدباء جـ ٢٠ ص ١١ .

(٢) تهذيب التهذيب جـ ١١ ص ٢١٢ .

وتعهد المدرسة بالنمو ، وأعاد النظر فيما جاء به الكسائى فأخذ منه ما يتفق مع طبيعة المدرسة ، وبنى منهجها على أساس علمى جديد .

* * *

تلاميذ الفراء :

ذكر أصحاب الطبقات والتراجم من تلاميذه : سلمة بن عاصم ، وأبا عبدالله الطوال ، ومحمد بن قادم . وهؤلاء الثلاثة هم الذين حملوا علم الفراء ، وأذاعوه في الدارسين . وممن أخذه عنهم : أبو العباس أحمد بن يحيى ثعلب ، وكان يروى عن سلمة كثيراً ، وعنه روى حدود الفراء .

قال أبو العباس ثعلب ، فيما ذكره الزبيدى ، وابن النديم ، يضاهى بين هؤلاء الثلاثة : « كان الطوال حاذقاً بالعربية ، وكان سلمة حافظاً لتأدية ما في الكتب ، وكان أبو قادم حسن النظر في العلل » .

ولم أقف لسلمة بن عاصم ومحمد بن قادم على أقوال نحوية ، وهما فى أكبر الظن كانا يرويان كتب الفراء « معانى القرآن » ، والحدود ، والنوادر ، وغيرها . أما الطوال فله فيما أوردت كتب النحو بضعة أقوال ، منها :

أنه أجاز مثل قولهم : ضرب غلامه زيداً (١) ، وهو الذى منعه الجمهور من النحاة ، لأن فيه عود الضمير على متأخر لفظاً ورتبة ، ويعزى هذا إلى الأخفش أيضاً ، وصححه ابن مالك وابن جنى فيما زعم ابن مالك ، فقد قال هـــذا : « النحويون إلا أبا الفتح يحكمون بمنع هذا ، والصحيح جوازه » ، واستدل على ذلك بالسماع ، وأنشد أبياتاً منها قوله :

جزى ربه عنى عدى بن حاتم جزاء الكلاب العاويات وقد فعل (٢)

---

(١) شرح الأشمونى جـ ٢ ص ٥٥ - الهمع جـ ١ ص ٦٦

(٢) شرح الأشمونى جـ ٢ ص ٥٥

ومنها : ذهابه - ومعه هشام بن معاوية صاحب الكسائي - إلى أن اللام في قولهم : إن زيداً لمنطلق جواب قسم مقدر قبل (إن) . (١)

وأكبر الظن أن الكوفيين أخذوا برأيها هذا ، وعمدوه ، فعدوا اللام في قولهم : لزيد قائم ، جواب القسم أيضاً ، والقسم مقدر قبله .

قال أبو البركات بن الأنباري : «ذهب الكوفيون إلى أن اللام في قولهم: لزيد أفضل من عمرو ، جواب قسم مقدر والتقدير : والله لزيد أفضل من عمرو ، فأضمر اليمين اكتفاء باللام عنها » . (٢)

وقال الرضي : « فعلى هذا ليس في الوجود عندهم لام ابتداء » . (٣)

* * *

وممن قالوا إنه تلمذ للفراء ، وأخذ عنه :

أبو يوسف يعقوب بن اسحاق السكيت :

وقد سبق أن عرضت له ، وقلت : إنه كان إماماً من أئمة اللغة ، كما يشهد بذلك كتاباه : إصلاح المنطق ، وتهذيب الألفاظ وأقوال المعاصرين له من علماء العربية ، ولكنه لم يكن بشيء في النحو ، واستندت في ذلك إلى ما كان بينه وبين معاصريه من مساءلات لم يكن التوفيق فيها حليفه ، وإلى شهادة هؤلاء بضعفه وما يؤيد شهادتهم من خلو كتب النحو من أقوال نحوية له .

* * *

ومحمد بن حمزاه :

وهو بغدادي المولد ، كوفي المذهب ، نشأ معلماً للعامة يعلمهم القرآن ،

---

(١) همع الهوامع جـ ١ ص ١٤

(٢) الأنصاف : مسألة ٥٨)

(٣) شرح الرضي على الكافية جـ ٢ ص ٣٣٧

والقراءات ، وكان ممن يقرأ بقراءة حمزة بن حبيب ، ثم أراد أن يختار لنفسه قراءة ، ففسد عليه الأصل والفرع ، كما قال ابن النديم . (١)

وقول المترجمين له : إنه كوفي المذهب ، يريدون أنه يحوي على المذهب الكوفي ، فهو إذن قد جمع بين القراءة ، وعلم العربية ، وقالوا : إنه صنف كتاباً في النحو ، وكتاباً في القراءات .

وليس له أقوال كثيرة في النحو بين ماوقفت عليه من أقوال الكوفيين ، وكل ما وقفت عليه من أقوال : بضع مسائل جاء بعضها في « همع الهوامع » للسيوطي ، وبعضها الآخر في شرح الأشموني على ألفية ابن مالك . (٢)

ومما ذهب إليه ابن سعدان :

١ ـ جواز نعت المختلفين في العمل ، المتحدين في النسبة ، نحو خاصم زيد عمراً الكريمان ، وهو مذهب الفراء أيضاً ، إلا أنه خالفه فيما يغلب على النعت . « فالنص عن الفراء : أنه إذا أتبع غلب المرفوع ، فتقول : خاصم زيد عمراً الكريمان . ونص ابن سعدان على جواز إتباع أي شئت ، لأن كلا منهما مخاصم ومخاصم » . (٣)

وكان البصريون ينكرون هذا ، وكان الخليل وسيبويه يشترطان الاتحاد في العمل ، بل أن يكون العمل من وجه واحد ، « فان الجرين ، أو الرفعين إذا اختلفا فيها بمنزلة الجر والرفع » . (٤)

٢ ـ وخالف ابن سعدان الكوفيين في عدم إجازة الجمع بين « يا » ، والمعرف بأل ، واستثنى من ذلك : اسم الجنس ، المشبه به ، نحو : يا الأسد

---

(١) فهرست ابن النديم ، ص ١٠٤

(٢) همع الهوامع جـ١ ص ١٧٤ جـ٢ ص ٢٥ شرح الأشموني جـ٣ ص ٦٩

(٣) شرح الأشموني جـ٣ ص٦٩

(٤) الكتاب جـ ١ ص ٢٤٧

شدة ، ويا الخليفة هيبة . (١)

نحو الفراء :

ذكر المترجمون للفراء كتباً كثيرة بعضها في اللغة ، وبعضها في النحو ، وبعضها في التفسير وأكثرها مما يتصل باللغة والنحو ، فذكر ابن النديم من كتبه : كتاب المصادر في القرآن ، وكتاب الجمع والتثنية في القرآن ، وكتاب الوقف والابتداء وكتاب النوادر ، وقد رواه تلميذه سلمة بن عاصم ، وكتاب المقصور والممدود وكتاب المذكر والمؤنث وكتاب الحدود وكتاب معاني القرآن . (٢)

وليس من هذه كتاب واحد جامع لأصول النحو ومسائله أو متمحض لموضوعات النحو سوى كتاب الحدود كما تشعرنا به الموضوعات التي انبنى الكتاب عليها ، والتي ذكرها ابن النديم وهو كغيره من الكتب إنما أملاه الفراء وجمعه ورواه تلاميذه .

ولم يبق من كتبه - فيما نعلم - إلا كتابان :

١ - كتاب الأيام والليالي ، وهو كتاب في اللغة تناول موضوعاً خاصاً يتعلق بالأيام والأسابيع والشهور وأسمائها العامة المعروفة وأسمائها التي يستعملها فريق من العرب دون فريق كتسمية الثلاثاء مثلا بجبار والاربعاء بدبار وكتسمية شهر ربيع الأول بخوان مخففاً ومشدداً وجمادى الآخرة بحنين كأمير وسكيت إلى غير ذلك ، وعرض أيضاً لافرادها وتثنيتها وجمعها .

وقد بنى الكتاب على ثلاثة عشر باباً ، خص الباب الأول بتسمية أيام الأسبوع والباب الأخير بصلاة الشاهد المغرب .

ومن هذا الكتاب نسخة مخطوطة حديثاً موجودة في دار الكتب المصرية

---

(١) همع الهوامع جـ١ ص ١٧٤
(٢) الفهرست ص ١٠٠

ضمن مجموعة من الرسائل رقمها (٣٣٢ لغة) وفلم لنسخة منه فى مكتبه اللجنة الثقافية لجامعة الدول العربية .

وقد نقل السيوطى نصاً منه فى أسماء بعض الشهور ، فقال : « قال الفراء : خوان من العرب من يخففه ، ومنهم من يشدده (١) ، ووبصان، منهم من يقول بوصان ، على القلب ، ومنهم من يسقط الواو ، ويقول : بصان : مضموم مخفف (٢) ، والحنين ، منهم من يفتح حاءه ، ومنهم من يضمه (٣) ، قال : وجمادى الآخرة يسمى ورنه ، ساكن الراء ، ومنهم من يقول : رنة كزنة . قال: وذو القعدة يسمى هواعا » . (٤)

ومما قاله الفراء فيه أيضاً : « ومن العرب من يسمى الأحد : أول ، والاثنين : أهون ، والثلاثا : جبار ، والأربعاء : دبار ، والخميس : مونس ، والجمعة : العروبة ، والسبت : شيار » . (٥)

* * *

(٢) وكتاب معانى القرآن :

ومن هذا الكتاب عدة نسخ فى دار الكتب ، بعضها مخطوط ، وبعضها مصور ، وتعمل إحدى لجان دار الكتب لاخراجه بعد تصحيحه ، ومقابلة نسخه ، ولعلها قد انجزت طبع بعض كراريس منه .

وهو مما أملاه الفراء عن حفظه ، وحمله منه أصحابه الذين لازموه وشهدوا

---

(١) وفى القاموس : الخوان كشداد ويضم : شهر ربيع الأول جمعه أخونة .

(٢) وفى القاموس : بصان كغراب ورمان : شهر ربيع الآخر جمعه بصانات وأبصنة

(٣) وفى القاموس حنين كأمير وسكيت وبالام فيهما اسمان لجمادى الآخرة والأولى جمعه أحنة وحنول وحنائن

(٤) المزهر جـ١ ص ١٣٢

(٥) الايام والليالى ص ٢٧٧ من المجموعة المخطوطة

مجلس إملائه ، ولم ير معتمداً في إملائه على نسخة ، أو كتاب ، كما يقول راوي هذا الكتاب : أبو عبدالله محمد بن الجهم بن هارون .

قال ابن الجهم في أول النسخة : « هذا كتاب فيه معاني القرآن ، أملاه علينا أبو زكرياء يحيى بن زياد الفراء ، يرحمه الله ، عن حفظه ، من غير نسخة ، في مجالسه أول النهار ، من أيام الثلاثاوات في شهر رمضان وما بعده ، سنة اثنتين ، وفي شهور سنة ثلاث ، وشهور من سنة أربع ومائتين » .(١)

فليس صحيحاً - على هذا - أنه ألفه للمأمون ، كما جاء في رواية ابن العماد (٢) ، لأن المأمون لم يصل إلى بغداد ، ولم يتصل به الفراء قبل سنة أربع ومائتين ، وحين جاء المأمون إلى بغداد كان الفراء - كما يفهم من قول ابن الجهم - قد انتهى من إملائه الكتاب ، لأنه انتهى من إملائه في الشهور الأولى من سنة أربع ومائتين للهجرة .

ولعل الصواب ما ذكره الزبيدي وابن النديم من أن « عمر بن بكير كان من أصحابه ، وكان منقطعاً إلى الحسن بن سهل فكتب إلى الفراء : إن الأمير الحسن بن سهل ربما سألني عن الشيء بعد الشيء من القرآن فلا يحضرني فيه جوابه ، فان رأيت أن تجمع لي أصولا أو تجعل في ذلك كتاباً أرجع إليه فعلت » .(٣)

فقال الفراء لأصحابه: « اجتمعوا حتى أملي عليكم كتاباً في القرآن . وجعل لهم يوماً ، فلما حضروا خرج إليهم . وكان في المسجد رجل يؤذن فيه ، وكان من القراء ، فقال له الفراء : اقرأ . فبدأ بفاتحة الكتاب ففسرها ثم مر في الكتاب كله

---

(١) معاني القرآن للفراء ص ١

(٢) شذرات الذهب ج ٢ ص ١٩

(٣) فهرست ابن النديم ص ٩٩

على ذلك يقرأ الرجل ويفسر الفراء » . (١)

وتم الكتاب في أربعة أجزاء (٢) أو في ألف ورقة (٣) وقد اجتمع لاملائه خلق كثير منهم ثلاثون قاضياً (٤) وأراد وراقوه أن يعدوا الذين اجتمعوا لاملائه فلم يضبطوا عددهم . (٥)

وقد بنى الفراء كتابه ، كما أشارت إليه القصة على التفسير ولكنه كان قد حشا تفسيره بكثير من التفسيرات اللغوية لشرح غريب القرآن وبكثير من الآراء النحوية على المذهب الكوفي لاعراب ما يشكل إعرابه من آياته موضحاً آراءه بكثير من النقول عن العرب بسماعه هو ممن وثق به من فصحاء الأعراب كأبي ثروان أو بروايته عن الكسائي أو بحكايته عن يونس أحياناً ومستشهداً لأقواله في إعراب الآيات بكثير من القراءات وشواهد الشعر التي صحت روايتها عنده .

ولعل هذا الكتاب هو المصدر الذي صدرت عنه كتب النحو تحمل آراء الفراء النحوية ، والمنبع الذي استق منه تلاميذه ، وأتباع المذهب الكوفي ، وقد تناهت إلى أبي العباس ثعلب ، نسخة من هذا الكتاب ، كان عليها على أصحابه ، ولم يكن أبو بكر بن الانباري ممن حضر لاملاء أبي العباس ، لذلك كان يقول : « ما أسيت على شيء كما أسيت على تركي السماع لكتاب المعاني للفراء من أبي العباس أحمد بن يحيى ، وإنما كان يقطعني عنه الحديث » . (٦)

---

(١) طبقات الزبيدي (الفراء)
(٢) فهرست ابن النديم ص ١٠٠
(٣) طبقات الزبيدي - الفراء -
(٤) شذرات الذهب لابن العماد جـ ٢ ص ١٩
(٥) نزهة الالباء ص ١٢٨
(٦) طبقات الزبيدي - أصحاب الفراء - سلمة بن عاصم -

وعن طريق هذا الكتاب ، وما حمله تلاميذه عنه نقل إلينا نحو الفراء ، أو نحو المدرسة الكوفية ، لأن أكثر ما كان للكوفيين من آراء إنما هو للفراء ، ولو تصفحت كتب النحو المتأخرة ، ورصدت نقولها عنه ، وعن سائر الكوفيين لرأيت نقولها عن الفراء تزيد على نقولها عن سائر الكوفيين .

يضاف إلى هذا نقولها التي خلت من النسبة إلى أحد الأئمة ونسبت إلى الكوفيين عامة لأني أزعم أن أكثر هذه النقول يرجع الى أقوال الفراء ، مؤيداً زعمي هذا بأمثلة كثيرة تناهت إلى من تتبع أقواله في كتب النحو المختلفة ، أذكر منها على سبيل المثال :

(١) ـ قال أبو البركات بن الأنباري : « ذهب الكوفيون الى أن نعم وبئس اسمان مبتدآن . وذهب البصريون الى أنهما فعلان ماضيان لا يتصرفان » . (١)

وهذا الرأي انما هو للفراء فهو الذي حكى « أن أعرابياً بشر بمولودة فقيل له : نعم المولودة مولودتك . قال : والله ما هي بنعم المولودة » (٢) يؤيد رأيه باسميتها بدخول حرف الجر عليها .

(٢) وقال أبو البركات أيضاً : « ذهب الكوفيون الى أن (لولا) ترفع الاسم بعدها نحو : لولا زيد لأكرمتك ، وذهب البصريون الى أنه يرتفع بالابتداء . (٣)

وهذا الرأي إنما هو للفراء أيضاً فقد جاء في كتاب « معاني القرآن » ما نصه : « قوله تعالى : ولولا رجال مؤمنون ونساء مؤمنات . رفعهم بلولا ، ثم قال : أن تطئوهم ، فأن في موضع رفع بلولا » . (٤)

---

(١) الانصاف ـ مسألة ١٤ ـ

(٢) شرح المفصل لابن يعيش جـ٧ ص ١٢٧ ، ١٢٨

(٣) الانصاف ـ « مسألة ١ »

(٤) معاني القرآن للفراء ـ ورقة ٦٠

وقال الرضى : «قال الفراء : لولا هي الرافعة للاسم الذي بعدها لاختصاصها بالأسماء ، كسائر العوامل » . (١)

(٣) وقال أبو البركات أيضاً : « أختلف مذهب الكوفيين في رفع الفعل المضارع ، نحو يقوم زيد ، ويذهب عمرو ، فذهب الأكثرون إلى أنه يرتفع ، لتعريه من العوامل الناصبة والجازمة . وذهب الكسائي إلى أنه يرتفع بالزائد في أوله ... وذهب البصريون إلى أنه يرتفع ، لقيامه مقام الاسم »(٢)

وهذا الرأي الذي ذهب إليه الأكثرون ، والذي شاع على ألسنة المعربين حتى يومنا هذا ، إنما هو للفراء ، فقد قال الرضى : « عامل الرفع في المضارع هو التجرد عن العوامل ، كما هو مذهب الفراء » . (٣)

(٤) وإلى الفراء ينتهي ما عرف عن الكوفيين من « النصب على الخلاف » فهو صاحب الرأي فيه ، وإن خالفه الكوفيون في نطاق تطبيقه ، فقالوا به في مسألتين : نصب الظروف التي تقع أخباراً ، ونصب المفعول معه ، وتفرد هو عنهم بمسألة ثالثة : هي نصب الفعل المضارع الواقع بعد الواو والفاء المسبوقتين بنفي أو طلب .

وليس نحو الفراء هو هذه الأقوال التي تتصل بالتأليف وعلله ، أو بالنحو بمعناه الخاص حسب ، لأن نحوه هو نحو الكوفة ، وهو نحو عام ، كما عرفه البصريون الأولون ، في عهد الخليل ، وسيبويه ، اندرجت فيه مسائل صوتية ، وأخرى اشتقاقية ، وأخرى نحوية .

وإذا تتبعنا أقواله رأيناه قد عرض لكل هذه الموضوعات ، عرض لمسائل تتعلق بالأصوات ، من حيث مخارجها ، ومن حيث ائتلافها ، ومن حيث ما يترتب

---

(١) شرح الرضى على الكافية جـ١ ص ١٠٤ .
(٢) الانصاف ـ « مسألة ٧٤ » .
(٣) شرح الرضى على الكافية ، جـ ٢ ص ٢٣١ .

على ائتلافها من ظواهر لغوية كالادغام وغيره ، وعرض لمسائل تتعلق بأوزان الكلمات ، وأوضاع الأبنية ، وعرض لمسائل تتعلق بالتأليف وعلله .

وحين نعرض لنحو الكوفة ، ومنهج الكوفيين فى دراستهم النحو ، فيما يأتى من فصول ، نكون قد أوفينا الكلام فى آرائه ، وأقواله ، لأن نحو الكوفيين فى جملته هو نحو الفراء ، وان كان الكسائى هو صاحب المنهج الذى سار عليه الفراء ، ومن جاء بعده من الكوفيين .

* * *

منهج الفراء فى دراسة النحو :

بالرغم مما عرف عن الفراء من ملازمة لبعض المعتزلة ، واتصال بآرائهم ، ومصاحبة للمأمون الذى عرف بميله إلى الاعتزال ، وتقريبه المعتزلة ، بل تعصبه لهم ، فأن منهجه فى دراسة اللغة والنحو هو المنهج الذى رسم حدوده أستاذه على بن حمزة الكسائى .

ولم يخالف المعتزلة فى منهجه الدراسى حسب ، فقد خالفهم فى بعض ما تناولوه بالبحث من مشكلات فى العقائد ، امتحنوا بها الناس أيام عزتهم وقوة سلطانهم ، كالقول بخلق القرآن ، والقول فى تفسير إعجازه وغيرها . . فقد كان الفراء يشايع أهل السنة فى القول باعجازه اللغوى (١) وأن اعجازه يقوم على أنه نزل بأفصح اللغات على الاطلاق .

ولدينا من النصوص ما يدل على أن الفراء كان يميل إلى القول بالاعجاز اللغوى ، وهو ما كان يردده من أن لغة القرآن أفصح اللغات ، وأن أسلوبه أصفى الأساليب ، لأنه نزل بلغة قريش التى هى أنقى اللغات وأصفاها ، لأنها خلت « من مستشنع اللغات ومستقبح الألفاظ من ذلك الكشكشة ، وهى فى ربيعة

---

(١) العربية - يوهان فك تعريب الدكتور النجار ، ص٥ .

ومضر ، يجعلون بعد كاف الخطاب في المؤنث شينا ، فيقولون : رأيتكش ، وبكش ، وعليكش »(١) إلى آخر كلامه .

وكان « يرد على بعض علماء الشعر ورواة الأخبار التاريخية من عرب البادية الذين لا يريدون أن يلتمسوا إعجاز القرآن فى قوالبه اللغوية بل يرون كمال الفصاحة فى لغة عرب البادية » . (٢)

ولا يعنى هذا أن الفلسفة الكلامية لم تترك أثراً فى تفكيره ، فالراصد أقواله يحس بجلاء ما في آرائه النحوية ، وتفسيراته لوجوه الاعراب من ظل التفكير الفلسفى ، فلا يزال يقلب المسألة على وجوهها المختلفة ، ويعلل كل وجه منها ، شأن العالم الذى يفترض في المسألة الواحدة فروضاً متعددة ، ويجرى تجاربه على كل فرض منها على حدة ليصل إلى الغرض الذى قصد إليه .

ولتوضيح هذا يحسن أن نستعين ببعض الأمثلة التى تشعبت فيها الوجوه الاعرابية ، فكان لكل وجه عنده موضع للتفسير والتعليل .

قال الفراء : « لحتى ثلاثة معان في « يفعل » وثلاثة معان في الاسماء ، فاذا رأيت قبلها فعلا ماضياً ، وبعدها « يفعل » فى معنى مضى ، وليس ما قبل « حتى » « يفعل » يطول فارفع « يفعل » بعدها ، كقولك : جئت حتى أكون معك قريباً .

وكان أكثر النحويين ينصبون الفعل بعد حتى ، وإن كان ماضياً إذا كان لغير الأول ، فيقولون : سرت حتى يدخلها زيد فزعم الكسائى : أنه سمع العرب تقول : سرنا حتى تطلع الشمس ، فرفع ، والفعل للشمس ، وسمع : إنا لجلوس ما نشعر حتى يسقط حجر بيننا ، رفع . وأنشدنى الكسائى :

وقد خضن الهجير وعمن حتى ... يفرج ذاك عنهن المساء

---

(١) المزهر جـ١ ص١٣٢

(٢) العربية ص ٤ـ٥ .

وأنشد :

وننكر يوم الروع ألوان خيلنا من الطعن حتى تحسب الجون اشقرا

فنصب ههنا ، لأن الانكار يتطاول ، وهو الوجه الثانى من باب حتى ، وذلك أن يكون ما قبل حتى ، وما بعدها ماضيين ، وهما مما يتطاول ، فيكون « يفعل » فيه ، وهو ماض فى المعنى أحسن من « فعل » فنصب .

قال الكسائى : سمعت العرب تقول : إن البعير ليهرم حتى يجعل إذا شرب الماء مجّه ، وهو أمر قد مضى ، و « يجعل » فيه أحسن من « جعل » ، وإنما حسنت ، لأنها تكون فى الواحد على معنى الجميع معناه إن هذا ليكون كثيراً فى الابل .

والوجه الثالث : أن يكون ما بعد حتى مستقبلا ، ولا تبال كيف كان الذى قبلها ، فتنصب كقول الله عزّوجل : « لن نبرح عليه عاكفين حتى يرجع » ، وهو كثير فى القرآن » . [1]

ولكنه بالرغم من هذا التقصّى ، وهذا التقسيم الذى يكاد يكون عقلياً ، لم يخرج عن نطاق الاستعمال ، ولم يفترض وجوها ليس لها نظير فى اللغات ، أو القراءات ، فقد استند إلى ما سمعه من الكسائى ، وإلى ما أنشده الكسائى ، واستند إلى ما جاء فى القرآن الكريم أيضاً .

* * *

ومثال آخر يظهر فيه تقسيم المسألة من جهة ، وتعلقه بالأساليب العربية من جهة أخرى ، فى صورة واضحة ، وهو يتعلق بالعطف على الجزاء :

قال الفراء : « فاذا جئت إلى العطوف التى تكون فى الجزاء ، وقد أجبته بالفاء ، كان لك فى العطف ثلاثة أوجه : إن شئت رفعت العطف مثل قولك : إن

---

١ معانى القرآن : ص ١٩

تأتى فانى أهل ذاك ، وتؤجر ، وتحمد ، وهو وجه الكلام ، وإن شئت جزمت وتجعله كالمردود على موقع الفاء ، والرفع على ما بعد الفاء . قد قرأت القراء : «من يضلل الله فلا هادى له ، ويذرهم » ، رفع وجزم . وكذلك : « إن تبدوا الصدقات فنعما هى ، وإن تخفوها ، وتؤتوها الفقراء فهو خير لكم ونكفر » جزم ورفع ، ولو نصبت على ما تنصب عليه عطوف الجزاء إذا استغنى لأصبت ، كما قال الشاعر :

فان يهلك النعمان تعر مطية وتخبأ فى جوف العياب قطوعها

وإن جزمت عطفاً ، بعدما نصبت ، ترده على الأول كان صواباً ، كما قال بعد هذا البيت :

وتنحط حصان آخر الليل نحطة تفصم منها ، أو تكاد ، ضلوعها

وهو كثير فى الشعر والكلام .

وأكثر ما يكون النصب فى العطوف إذا لم يكن فى جواب الجزاء الفاء ، فاذا كانت الفاء فهو الرفع والجزم ، وإذا أجبت الاستفهام بالفاء فنصبت فانصب العطوف ، وإن جزمتها فصواب ، من ذلك : قوله فى المنافقين : « لولا أخرتنى إلى اجل قريب فاصدق ، وأكن » ، رددت « وأكن » على موضع الفاء ، لأنها فى محل جزم ، إذا كان العمل إذا وقع موقعها بغير الفاء جزم ، والنصب على أن ترده على مابعدها ، فتقول : « وأكون » ، وهى فى قراءة عبد الله بن مسعود : وأكون بالواو ، وقد قرأ بها بعض القراء . قال (يعنى الفراء) : وأرى ذلك صواباً » . (١)

فقد رأينا كيف تتبع وجوه المسألة ، وكيف حصرها ، ثم رأينا أنه لم يهمل الاستشهاد بالقرآن والقراءات ، وإن لم تكن من السبع أو العشر ، كقراءة

---

(١) معانى القرآن : ورقه ١٢ « ش ١٠ تفسير »

عبد الله بن مسعود ، ولم يهمل الاستشهاد بالشعر أيضاً ، ليبنى أحكامه على أساس من الواقع اللغوى بين الجماعات العربية .

ورأينا أيضاً كيف كان يعلل أحكام الوجوه المستخرجة من هاتين المسألتين ، ولكن طابع تعليلاته كان إلى روح الأساليب اللغوية أقرب منه إلى التفكير النظرى المجرد .

* * *

مصادر دراسة الفراء

ومصادر دراسته - كما يستشف من أقواله المثبتة فى كتبه ، أو المنقولة عنه فى كتب النحاة - هي المصادر التى كان الكسائى يعتمد عليها ، وهي :

أ - القرآن الكريم وقد مر بنا كيف أن الفراء - بوجه خاص - كان يضعه في المستوى الذى ينبغى وضعه فيه ، وهو المستوى الذى ينحط عنه أى مستوى لأى كلام بالغاً ما بلغ من نقاء التراكيب وخلوصها مما يشوه معالم الأسلوب .

ومر بنا أيضاً أن الفراء كان يستند فى القول باعجازه اللغوى إلى أنه نزل بلغة قريش التى خلت من مستبشع الالفاظ ، ومستقبح اللهجات ، كالكشكشة والعجعجة ، والاستنطاء ، والعنعنة وغيرها .

ب - والقراءات المختلفة ، وإن شذت فى نظر نحاة البصرة ، وهو لا ينى يستشهد بها ، ويصوبها ، ويحتج بها .

جـ - وشواهد كثيرة من الشعر وكلام العرب ، سواء أوصل إليه عن طريق المشافهة ، باتصاله بالفصحاء ، وروايته عمن كان يثق به من الأعراب ، كأبي ثروان ، وأبى الجراح ، وأبى فقعس وغيرهم ، أم عن طريق المناقلة ، كما يروى عن الكسائى ، ويونس ، وغيرهما .

وهو يحتج بما سمع من هؤلاء ، ويبنى عليه كثيراً من آرائه ، كما مر من

ذهابه إلى اسمية «نعم وبئس» لأنه سمع ممن يثق به : « والله ما هي بنعم الولد» .

وكما ذهب إليه من جواز إبطال عمل « إن » إذا بعدت عن اسمها بفاصل وقع بينهما ، بانياً رأيه هذا على ما حكاه هو والكسائي جميعاً ، من قولهم : « إن فيك زيد لراغب » (١) ، معللا ذلك بأنها تباعدت عن الاسم بوقوع هذا الفاصل - يعني (فيك) - بينها وبين اسمها ، كما بطل عملها حين فصلتها « ما » عن اسمها ، في قولهم : إنما زيد قائم .

وكما ذهب إليه من تجويز إعراب العدد المركب قياساً ، إذا أضيف استنادا إلى ما سمعه من أبي فقعس الأسدي ، وأبي الهيثم العقيلي : ما فعلت خمسة عشرك . (٢)

وكما فعل من حشر « هذا ، وذا » في زمرة الأسماء الموصولة ، معتمدا في هذا على ما أنشد من كلام العرب ، فقد قال : « العرب قد تذهب بهذا وذا إلى معنى « الذي » ، فيقولون : ومن ذا يقول ذاك . في معنى : من الذي يقول ذاك وأنشدوا :

عدس ما لعباد عليك إمارة أمنت وهذا تحملين طليق

كأنه قال : والذي تحملين طليق . » . (٣)

والأمثلة كثيرة إلى حد يصعب معه الحصر في هذا المجال المحدود .

فهو كما نرى ، قد تأثر أستاذه في الاعتداد بالقراءات وشواهد الشعر وبالأمثلة القليلة المسموعة من العرب وإن كانت مما ينكره البصريون أو يغلطونه أو يعدونه شاذا لا يقاس عليه .

* * *

(١) مجالس ثعلب ، ٨١ .

(٢) شرح الأشموني ، جـ ٤ ص ٧٠ .

(٣) معاني القرآن للفراء ، ورقة ٢٠ .

بين الكسائي والفراء :

والفراء في آرائه يوافق الكسائي في أكثر المسائل والأصول ، لأنه درس عليه ، وأخذ عنه منهجه ، وكثيراً ما نرى النحاة في نقولهم عن الكسائي والفراء يقولون : ذهب الكسائي والفراء إلى كذا وكذا ، أو كان الكسائي والفراء يذهبان إلى كذا وكذا . . . إلى غير ذلك من العبارات .

ولكن نحو الفراء يختلف عن نحو الكسائي من حيث الشكل والموضوع . أما الشكل فالكسائي في نحوه كان يحتذي منهج المحدثين والفراء ، وكان أبعد ما يكون عن التأثر بالتفكير الفلسفي ، فلم نعرف له صحبة مع أحد المتكلمين ، ولا اتصالا بآرائهم ، ولم نلمس في نحوه أي أثر للتفكير الكلامي ، اللهم إلا كلامه في القياس ، واعتداده به في دراسته ، وقد سبق أن قلت : إن تأثره بمنهج المتكلمين كان بواسطة دراسته النحو البصري ، الذي خضع في منهجه وأصوله للتفكير الكلامي خضوعاً تاماً .

وكان الفراء من المتكلمين ، وكان ينحو في مصنفاته منحى الفلاسفة ، كما قيل عنه ، وقد ترك ذلك في نحوه ظلا واضح المعالم ، تمثل في تعليله القضايا النحوية وفلسفة الأحكام ، بمثل ما كان البصريون يعللون ويفلسفون .

وأما الموضوع فللفراء أقوال كثيرة يخالف بها أستاذه ، إما لأن مقاييسه العامة تختلف عن مقاييس الكسائي ، وإما لأنهما يختلفان فيها من حيث وجهة النظر الخاصة ، التي قد تختلف بين حين وحين في الشخص الواحد . وكثيراً ما يختلف تلاميذ المدرسة الواحدة في وجهات النظر الخاصة اختلافاً يرجع إلى ما كان عليه كل منهم من حذق ، وبراعة ، وسعة اطلاع ، كما اختلف سيبويه مع الخليل ، وكما اختلف الخليل مع يونس ، وكما اختلف الأخفش مع الخليل وسيبويه وهم جميعاً ينزعون نزعة واحدة ، وينتسبون إلى مدرسة واحدة .

فليس غريباً إذن أن تختلف وجهة النظر عند الكسائى والفراء ، وقد اختلفت فعلا ، وتمثل هذا الاختلاف فى هذه المسائل الكثيرة التى كان يقول الكسائى فيها بقول يخالفه الفراء فيه ، والأمثلة على هذا كثيرة :

١ - فلسنا بناسين ما كان بينهما من خلاف فى رافع الفعل المضارع إذ ذهب الكسائى إلى أنه ما فيه من حروف المضارعة ، وذهب الفراء إلى أنه تجرده عن الناصب والجازم .

٢ - ولا ما كان بينهما من خلاف في « نعم وبئس » إذ ذهب الكسائى إلى فعليتها والفراء إلى اسميتها .

٣ - ولا ما كان بينهما مما يتعلق بفعلية « ما أفعل فى التعجب » واسميته إذ تابع الكسائى البصريين فى فعليته والفراء - ومعه سائر الكوفيين - يقول باسميته، مستندا إلى وروده ، مصغراً في قول الشاعر :

« يا ما أميلح غزلاناً شدن لنا »

فلو كان فعلا لما جاز تصغيره ، لأن الأفعال لا يصغر شىء منها (١)

٤ - ولا ما اختلفا فيه من تفسير النصب في قوله تعالى: « فآمنوا خيراً لكم » ، فقد كان الكسائى يقدر « كان » محذوفة أى فآمنوا يكن خيراً لكم . وكان الفراء يقدر مصدر محذوفاً ، أى فآمنوا إيماناً خيراً لكم (٢) ، وكان الفراء يقول: « خير منصوب باتصاله بالأمر ، لأنه من صلة الأمر (٣) » .

٥ - ولا ما اختلفا فيه من إجازة رفع المعطوف على اسم إن في جميع الأمثلة أو بعضها ، فكان الكسائى يجيز ذلك مطلقاً ، وكان الفراء يفصل « فلم يمنع رفع

---

(١) شرح الأشمونى ج ٣ ص ١٨ ، وشرح المفصل لابن يعيش ج ٧ ص ١٤٣
(٢) مجالس ثعلب ص ٣٧٢ .
(٣) معانى القرآن ورقة ٤٢ .

opeirandi.com

المعطوف ، ولم يجوزه مطلقاً ، بل فصل وقال : إن خفي إعراب الاسم بكونه مبنياً أو معرباً مقدر الاعراب جاز الحمل على المحل . . . وإلا فلا (١) .

وقد عرض الفراء لهذا في تفسيره قوله تعالى : « إن الذين آمنوا والذين هادوا ، والصابئون ، والنصارى » ، فاعرب « والصابئون » على أنها معطوفة على « الذين » وعلل إعرابه هذا بأن « الذين » حرف على جهة واحدة في رفعه ونصبه وخفضه ، فلما كان إعرابه واحداً ، وكان نصب (إن) ضعيفاً ، وضعفه أنه يقع على الاسم ولا يقع على الخبر ، جاز رفع الصابئين ، ولا أستحب أن أقول : إن عبدالله وزيد قائمان ، لتبين الاعراب في « عبدالله » ، وقد كان الكسائي يجيزه لضعف « إن » وقد أنشدونا هذا البيت رفعاً ونصباً :

فمن يك أمسى بالمدينة رحله ... فإني وقيارا بها لغريب

وقيار . وليس هذا بحجة للكسائي في إجازته أن عمراً وزيد قائمان ، لأن قيارا قد عطف على اسم مكنى (يعني اسماً مضمراً) والمكنى لا إعراب له ، فسهل ذلك منه ، كما سهل في « الذين » إذا عطفت عليه « والصابئون » ، وهذا أقوى في الجواز من الصابئين ، لأن المكنى لا يتبين فيه الرفع في حال ، والذين قد يقال اللذون ، فترفع في حال (٢) » .

وقد أشار القدماء إلى مواضع الاختلاف بينهما ، كلما عرضوا لمسألة اختلفت فيها وجهة نظر كل منهما ، حتى الكوفيون منهم ، وقد أورد ثعلب مسائل كثيرة اختلف فيها الكسائي والفراء (٣) .

---

(١) شرح الرضي على الكافية جـ ٢ ص ٢٨٧

(٢) معاني القرآن - ورقة ٤٥

(٣) انظر مجالس ثعلب ص ٧١ ، ٧٨ ، ٢٦٠ ، ٣٩٢ ، ٣٧٨ ، ٤٢٢ ، ٤٧٨ ، و ٥١٤ .

وكان أبو الطيب اللغوى - فيما يروى السيوطي عنه - يقول وأما علماء الكوفيين بعد الكسائي فأعلمهم بالنحو الفراء ، وقد أخذ علمه عن الكسائي وهو عمدته ، ثم أخذ عن أعراب وثق بهم مثل أبي الجراح ، وأبي ثروان وغيرهما وأخذ نبذا عن يونس ، وعن أبي زياد الكلابي ، وكان الفراء ورعاً متديناً ، وكان يخالف الكسائى في كثير من مذاهبه (١) » .

وكان الأستاذ طه الراوي يقول - بعد أن عرض للخلاف بين المذاهب النحوية « وهناك مذاهب متفرعة عن هذه يعسر حصرها ، إذ يكاد يكون لكل إمام مذهب يخالف فيه غيره ، ولو من بعض الوجوه ، فلسيبويه مثلا آراء يخالف فيها أشياخه ، وللأخفش آراء يخالف فيها سيبويه وسائر البصرية ، وقد ألف المبرد - وهو بصري النزعة - كتاباً فى الرد على سيبويه .

وللفراء مذهب ينحرف فيه عن مذهب الكسائى ، في غير ما موطن ، وهكذا نجد لكل علم من أعلام المدرسة آراء ينفرد بها ، تكثر أو تقل بمقدار ما أوتيه من بسطة في العلم وبراعة في الابداع ، ولكن يرجع ذلك كله إلى الأمات (٢) الأربع (٣) » .

إذن فاختلاف وجهة النظر عند الكسائى والفراء لا يمس وحدة المنهج العام الذي رسمه الكسائى وسار عليه أتباع المدرسة الكوفية .

---

(١) المزهر ج ٢ ص ٤٠٦ .

(٢) يقال للام : الأمة والأمهة . جمعها أمات وأمهات ، أو هذه من يعقل وأمات لما لا يعقل .

(٣) نظرة في النحو - طه الراوي ، مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق م ١٤ ج ٩ ، ١٠ ص ٣١٨ .

- ٤ -

أبو العباس أحمد بن يحيى ثعلب

وهو ثالث ثلاثة قامت على أعمالهم مدرسة الكوفة النحوية ، وهو بغدادي المولد والمنشأ ، وكان شيبانياً بالولاء .

كانت ولادته سنة مائتين للهجرة ، وكان من الأحداث التي وعتها ذاكرته عن طفولته : مشاهدته للمأمون لما قدم من خراسان ، وذلك سنة أربع ومائتين للهجرة ، وكان أبوه ساعتئذ يحمله على يده لمشاهدة المأمون ، وهو يمر بين صفين من الناس هرعوا إلى مشاهدته في طريقه إلى قصر الرصافة ، ببغداد ، وكان أبوه يقول له : « هذا المأمون ، وهذه سنة أربع » ، يقول ابو العباس : « فحفظت عنه إلى الساعة » ، وكان سني يومئذ أربع سنين (١) .

ولم ير أبو العباس ثعلب الفراء ، ولم يتصل به ، ولم يأخذ عنه ، لأن الفراء توفي سنة سبع ومائتين للهجرة ، وكان عمر ثعلب إذ ذاك سبع سنين ، وإنما أخذ النحو عن جماعة منهم سلمة بن عاصم تلميذ الفراء ، وأخذ اللغة عن جماعة منهم : محمد ابن زياد الأعرابي ، تلميذ الكسائي ، ولكنه أكب على دراسة كتب الفراء وحفظ مسائله ، وكان مرجع أهل الكوفة في رواية أقوال الكسائي والفراء ، وهو الذي حفظ للناس أكثر أعمالها ، وأملى أقوالها وآراءها في مجالسه ، ودون

---

(١) القفطي - انباه الرواة على انباه النحاة جـ١ ص ١٥ ، وفهرست ابن النديم ص ١١٠

لهم ذلك فيما ألف من كتب كثيرة ذكرها المترجمون له ، وذكر القفطي منها كتاب اختلاف النحويين ، وكتاب معاني القرآن ، وكتاب ما تلحن فيه العامة ، وكتاب القراءات ، وكتاب معاني الشعر ، وكتاب ما ينصرف وما لا ينصرف ، وكتاب المجالس (وقد طبع حديثاً) ، وكتاب الفصيح (طبع أيضاً) وغيرها . ولم يبق من أكثر ما نسب إليه من مصنفات إلا عنواناتها ، تتناقلها كتب التراجم والطبقات .

وقد أجمل لنا حياته العلمية فقال: « طلبت العربية واللغة في سنة ست عشرة ومائتين ، وأبتدأت بالنظر في حدود الفراء ، وسني ثماني عشرة سنة ، وبلغت خمساً وعشرين سنة ، وما بقي شيء من كتب الفراء في هذا الوقت إلا قد حفظته » .(١)

ومنذ ذلك الوقت أخذ يهيء نفسه للرياسة العلمية ، ويتصدر مجالس التدريس وعرف في البيئات العلمية ، وكان الفضل بن سلمة بن عاصم يقول « رأس أبو العباس أحمد بن يحيى ثعلب النحوي ، واختلف الناس إليه في سنة خمس وعشرين ومائتين »(٢) .

* * *

شهدت هذه الفترة التي عاش فيها أبو العباس ثعلب شدة المنافسة بين مدرستي البصرة والكوفة ، في شخص أبي العباس ثعلب ، وأبي العباس المبرد ، كان الأول زعيم نحاة الكوفة ، وكان الثاني زعيم نحاة البصرة .

كان أبو العباس ثعلب قد جمع حوله أنصاره من أصحابه وتلاميذه ، كعلي بن سليمان الأخفش ، وإبراهيم ابن محمد بن عرفة الأزدي نفطويه ، وأبي

---

(١) القفطي - انباه الرواة على انباه النحاة ج ١ ص ١٣٩ وفهرست ابن النديم ص ١١٠

(٢) القفطي - انباه الرواة على النحاة ج ١ ص ١٤٢

بكر بن الأنباري ، وأبي بكر (١) محمد عبد الملك التاريخي السراج البغدادي ، والفضل بن سلمة بن عاصم ، وأبي إسحاق الزجاج وغيرهم ، وكان يلقنهم المسائل النحوية على المذهب الكوفي ، ويدربهم على المناظرات ، ويبعث بهم إلى كل من تحدثه نفسه أن يتصدر حلقة أو ينصب نفسه أستاذاً للدرس في مساجد بغداد ، وكان كثيراً ما يرد الجامع قوم خراسانيون من ذوي النظر فيتكلمون ، ويجتمع الناس حولهم ، فاذا أبصر بهم أرسل من تلاميذه من يناقشهم ، فاذا انقطعوا عن الجواب انفض الناس عنهم » (٢) .

وكان أبو العباس المبرد قد شخص الى سامراء بأمر من المتوكل ، وفتح له المتوكل بابه ، وكان ينادمه ويحضر مجالسه الخاصة مع البحتري والفتح بن خاقان ، حتى إذا قتل المتوكل ضاقت به الحال ، فذهب إلى بغداد ، ولم يكن يعرف أحداً من أهلها ، فانتهى به المطاف إلى الجامع الذى اعتاد أبو العباس ثعلب أن يصلي فيه ، وأن يملي فيه على أصحابه ، « فتوخى (المبرد) شهود صلاة الجمعة ، فلما قضيت الصلاة أقبل على بعض من حضر ، وسأله أن يفاتحه السؤال ليتسبب له القول ، فلم يكن عند من حضر علم ، فلما رأى ذلك رفع صوته ، وطفق يفسر ، ويوهم بذلك أنه قد سئل ، فصارت حوله حلقة ، وأبو العباس (المبرد) يصل في ذلك كلامه ، فتشوف أبو العباس أحمد بن يحيى إلى الحلقة ، فلما نظر إلى من حول أبي العباس أمر ابن السري الزجاج وابن الخائل بالنهوض ، وقال لهما : فضا حلقة هذا الرجل ، ونهض معهما من حضر من أصحابه ، فلما صارا بين يديه قال له إبراهيم بن السري : أتأذن أعزكم الله في المناقشة ، فقال له أبو العباس : سل عما أحببت ،

---

(١) وهو أحد من روى عن « ثعلب » ولقب بالتاريخي لأنه كان يعنى بالتواريخ وجمعها (انباه - ١٤١ الهامش)

(٢) الزبيدى - طبقات النحويين - المبرد

فسأله عن مسألة فأجابه عنها بجواب أفحمه ، فنظر الزجاج في وجوه أصحابه متعجباً من تجويد أبي العباس في الجواب، فلما انقضى ذلك قال له أبو العباس: أقنعت بالجواب ؟ فقال نعم قال : فان قال قائل في جوابنا هذا كذا ، ما أنت راجع إليه ، وجعل أبو العباس يوهن جواب المسألة ويفسده ، ويعتل فيه ، فبقي إبراهيم صادراً لا يحير جواباً » (١)

وانتهت المسألة بعد حوار طويل ذكره الزبيدي ، بأن قال الزجاج لأصحابه : عودوا إلى الشيخ - يعني ثعلباً - فلست مفارقاً هذا الرجل . (٢)

ولا شك أن هذه الحادثة قضت على كل أمل في السلام بين الشيخين، فهي - بالاضافة إلى أنها غذت المنافسة التقليدية بين ممثلي المدرستين - كانت قد أفقدت أبا العباس ثعلبا أحد أصحابه النابهين ، وأخذت تهدد مركزه العلمي بتأييد مركز أبي العباس المبرد في أوساط بغداد العلمية .

وشيء آخر لم يستطع ثعلب السكوت عليه ، ذلك أن ختنه ، زوج ابنته أبا علي أحمد بن جعفر الدينوري المصري كان « يخرج من منزله وهو جالس على باب داره ، يتخطى أصحابه ، ويمضي ومعه محبرته ، ويقرأ كتاب سيبويه على المبرد » فكان ثعلب يعاتبه ، ويقول له « إذا رآك الناس تمضي إلى هذا الرجل ، وتقرأ عليه يقولون ماذا ؟ » ولكن أبا علي هذا لم يكن يلتفت إلى قوله ، بل يمضي إلى مجلس المبرد دون أن يرد عليه . (٣)

إن وجود المبرد الذي انتهى اليه النحو البصري بمنهجه النظري ، وبأساليبه الجدلية التي أغرت أبا إسحاق الزجاج باعتزال مجلس أستاذه الأول وملازمة أبي

---

(١) الزبيدي - طبقات النحويين - المبرد

(٢) نفس المصدر

(٣) انباه الرواه ج ١ ص ١٤٤ . وطبقات الزبيدي - ثعلب

العباس المبرد ، وجعلت أبا علي الدينوري أقرب الناس إليه يذهب إلى مجلس المبرد على سرأى من تلاميذ ثعلب ، إن وجود هذا الرجل في بغداد كان نقطة تحول في تاريخ المدرسة الكوفية ، فقد تسرب إلى مجلس المبرد كثير من أصحاب ثعلب وتلاميذه .

ثم نشأت في عهد هذين الشيخين طبقة من الدارسين ، أخذوا عن شيوخ المدرستين ، وعرفوا المنهجين ، وأفادوا من هؤلاء وهؤلاء ، وتأثروا بهؤلاء وهؤلاء فنشأت منهم - على ما قيل - مدرسة بغداد .

وظل هذان الشيخان يتنافسان ، وظل أصحابهما يتنافسون ، كل يتحيز إلى شيخه ويغض من منافسه ، وكان المبرد يتفوق على ثعلب بحسن العبارة وقوة المنطق ، لذلك كان ثعلب يتحاماه ويحجم عن لقائه ومناظرته ، لأنه - مع علمه - لم يكن معروفاً بالبلاغة ، «وكان إذا كتب كتاباً إلى أحد لم يخرج عن طباع العوام في كتبهم (١) » .

وربما لحن في كلامه ، وقيل ذلك عنه أمام أحد أصحابه ، فكان يعتذر له ، ويقول : «أيش يكون إذا لحن في كلامه ، كان هشام النحوي بن معاوية الضرير صاحب الكسائي يلحن في كلامه ، وكان أبو هريرة يكلم صبيانه بالنبطية (٢) .

وسئل أبو علي الدينوري عن سبب امتناع ثعلب من لقاء المبرد ، فقال: « المبرد حسن العبارة ، فإذا اجتمعا حكم للمبرد ، فإن مذهب ثعلب مذهب المعلمين (٣)

ولكنه كان يضطر إلى لقائه في بعض المجالس، التي لا يسعه الاعتذار عن

---

(١) انباه الرواة ، جـ ١ ص ١٤٥ .
(٢) انباه الرواة ، جـ ١ ص ١٤٠
(٣) انباه الرواة ، جـ ١ ص ١٤٥ .

الحضور اليها ، كمجلس محمد بن عبدالله بن طاهر ، والى بغداد ، الذى كان قد عهد الى ثعلب بتأديب أولاده . وفى مجلسه دار الجدل فى كثير من المسائل بين هذين الشيخين ، ومال الحكم فيها الى المبرد ، وانتصر له على ثعلب ، وانتهى الأمر بأن ضمّ ابن طاهر أبا العباس المبرد الى نفسه ، وأبا العباس ثعلباً الى اولاده .(١)

هذه الحوادث وأمثالها كانت قد تركت فى نفوس الناس أثراً ظهر فى اهتمامهم واقبالهم على أمثال المبرد من البصريين ، وتركت فى نفوس الكوفيين وأتباعهم أثراً مماكساً أثار العصبية من جديد ، وأمدها بالغيرة على الكوفيين والحقد على البصريين .

وكان من نتائج هذا أن انبرى ثعلب وأتباعه ، يبذلون جهوداً عظيمة فى الترويج لمذهبهم ، فقد كان ثعلب يحمل كثيراً على المبرد من جهة ، ويشيد بأشياخه الأولين من جهة أخرى .

وكان أكبر العبء فى الترويج لمدرسة الكوفة من نصيب أبى بكر بن الأنبارى ، صاحب ثعلب وتلميذه البار ، وكان - كما يقول المترجمون - يقول عن ثعلب ما لم يقله .

واذا رصدنا الأخبار التى انبنت على الغلو فى رجال المدرسة الكوفية ، وأعتها ، وجدنا مصدرها هو أبا بكر بن الأنبارى ، فهو الذى كان يقول : « اجتمعت فى الكسائى أمور : كان أعلم الناس بالنحو ، وأوحدهم فى الغريب وكان أوحد الناس فى القرآن » .(٢)

وهو الذى تقول على ثعلب ، فنسب إليه أنه قال : « أجمعوا على أن أكثر الناس كلهم رواية ، وأوسعهم علما : الكسائى » حتى اضطر أبو الطيب

---

(١) مجالس اللغويين والنحاة ، لوحة رقم ٤٥ نسخة مصورة عن مخطوط فى استانبول .

(٢) غاية النهاية لابن الجزرى جـ ١ ص ٥٣٨ .

اللغوى أن يعقب على هذا ويقول : « هذا الاجماع الذى ذكره ثعلب لا يدخل فيه أهل البصرة » . (١)

وهو الذى كان يقول : « لو لم يكن لأهل بغداد من علماء العربية إلا الكسائى والفراء لكان لهم بهما الافتخار على جميع الناس » ، وكان يقول : « النحو للفراء ، والفراء أمير المؤمنين في النحو » . (٢)

وكان أبو بكر بن الأنبارى ينال من أبى عثمان المازنى ، ويرفع من أستاذه وعشر مرة ، فذكر أنه سمع ثعلباً يقول : « عزمت على المضى الى المازنى ، فأنكر ذلك على أصحابنا ، وقالوا : مثلك لا يصلح أن يمضي الى بصرى ، فيقال غدا : إنه تلميذه ، فكرهت الخلاف عليهم » . قال ياقوت : « فأراد ابن الانبارى أن يرفع من ثعلب فوضع منه » . (٣)

ولم يسلم من نيله أحد من البصريين ، حتى الخليل ، ولم أر فيما قرأت للقدماء من أقوال عن الخليل إلا إجماعا منهم على إكباره وإعظامه ، والاعجاب بعلمه ، وذكائه ، وتفضيله على سائر معاصريه ، ولم يطلع على الناس بزعم أن أبا جعفر الرواسي عمل كتاباً في النحو ، وسماه الفيصل ، فبعث اليه الخليل يستعيره فوجه به اليه ، فقرأه الخليل ، وعمل كتابه عليه - إلا أبو بكر بن الأنبارى (٤)

ومن العجيب أن يحكم للرواسى بالنبوغ فى عهد ابن الأنبارى مع أنه لم يكن بشىء فى عهد الكسائى ، فقد مر بنا ما دار بين الكسائى والفراء ، من تغليط الكسائى للرواسى فى جميع المسائل التى حملها الفراء وأصحابه ، لاعنات الكسائى بها وتعجيزه .

---

(١) المزهر للسيوطى - مطبعة السعادة ج٢ ص ٢٥٤ .
(٢) تهذيب التهذيب للعسقلانى ج ١٩ ص ٢١٢ .
(٣) ياقوت : معجم الأدباء جـ٥ ص ١١٥ .
(٤) نفس المصدر

وكان لافتعال هذه القصة أثر فى تشكيك الدارسين فى نسبة الكتاب الى سيبويه ، أو إلى الخليل ، وفى منزلة الخليل فى عمله النحوى ، لا لشىء إلا لأنه بصرى .

ومهما يكن من أمر فان احتدام العصبية بين المدرستين إنما كان فى هذه الفترة التى أخذت فيها أركان المدرسة الكوفية تتداعى باقبال الناس على شيوخ المدرسة البصرية ، وتقديمهم على منافسيهم من أتباع المدرسة الكوفية .

وليس الأمر كما قال الأستاذ أحمد أمين : من أن الخلاف « بدأ هادئاً بين الرواسى فى الكوفة والخليل فى البصرة ، ثم اشتد بين الكسائى فى الكوفة وسيبويه فى البصرة » (١) فان منشأ هذه المزاعم هو أصحاب ثعلب ، أو هو أبو بكر بن الأنبارى .

وربما كان مستند الأستاذ فيما ذهب إليه هو ما جاء في نزهة الألباء ، من نسبة القولة إلى أبى جعفر الرواسى نفسه ، وأكبر الظن أنه لم يقلها ، وإنما تقولوا بها عليه ، فلم يعرف للرواسى عمل نحوى يستطيع به منافسة الخليل على أن أبا البركات ابن الأنبارى كان قد صدر الرواية بقوله : « ويحكى عنه أنه قال .. » (٢)

* * *

والذى لا شك فيه هو أن ثعلباً كان كثير الحفظ ، واسع الرواية في اللغة والادب ، والقراءة ، والنحو ، « وكان معظم همه منصرفاً إلى حشد المادة التى تحفظ ، والالمام بصيغ لغوية خاصة ، ليستطيع الافادة بهذه الطريقة » . (٣) ولولا حفظه لكتب الكسائي والفراء ، ووقوفه على آرائها في النحو لكان واحداً من هؤلاء الكوفيين الرواة الحفظة ، لا شأن له بهذه الصناعة ، ولكنه

---

(١) ضحى الاسلام جـ ٢ ص ٢٤٩ .
(٢) نزهة الألباء ص ٦٦ .
(٣) دائرة المعارف الاسلامية جـ ٦ ص ٢٠٠

أفاد من هذه الكتب ما جعله يملي دروساً في النحو ، وما جعله يعد في زمرة الأئمة من نحاة الكوفة .

وكان يملي دروسه في صورة مجالسات ، يسأله أصحابه فيجيبهم ، أو يملي عليهم مسائل مما حفظه عن الفراء والكسائي ، ومما أفاده هو من نحو هذين الأستاذين .وله آراء خاصة ، ولكنها ليست هي كل شيء في إمامته . وفي كتابه (المجالس) كثير من هذه المجالسات والروايات ، وأكثر ما جاء فيها تكرار لما كان الكسائي والفراء يأخذان به .

وثعلب يمثل طرازاً كوفياً أصيلا ، باعتماده على الرواية ، وعدم أخذه بأساليب الجدل النظري ، الذي عرف به تلاميذ المدرسة البصرية ، وإلمامه باللغات واللهجات ، واعتداده بما اعتد به الكوفيون الأولون من هذه اللغات .

ولم يكن معنيا بالقياس ، أو مستخرجاً للعلل ، فاذا سئل عن مسألة راح يبحث للجواب عنها فيما حفظه عن الكسائي والفراء ، « فاذا سئل عن الحجة والحقيقة لم يأت بشيء » . (١)

وكان أحد أصحابه يقول : « بلغني أن أبا العباس أحمد بن يحيى النحوي قد كره الكلام في الاسم والمسمى ، وقد كرهت لكم ما كره أحمد بن يحيى ورضيت لنفسي ولكم ما رضي » . (٢)

ويبدو أنه كان قد قرأ كتاب سيبويه ، ولكنه لم يقرأه على بصري ، وإنما قرأه على نفسه . وأكبر الظن أنه إنما قرأه ، لأن ظرفه الخاص الذي وجد فيه منافسا للمبرد وغيره من البصريين اضطره الى الوقوف عليه ، يتخذه وسيلة للرد على خصومه في المناظرات التي كانت تعقد بينه وبين المبرد ، وبينه وبين

---

(١) انباه الرواه جـ ١ ١٤٤

(٢) انباه الرواه جـ ١ ص ١٤٢

ابن كيسان الذى كان أميل الى طريقة البصريين ، وبينه وبين غير هذين ، حتى قيل إنه « كان متبحرا في مذهب البصريين » . (١)

وكان قد وجه عنايته كلها الى كتب الكسائي والفراء ، كان يدرسها درساً ، وكان يقرئها تلاميذه إقراء . ومن كتب الفراء التى كان يقرئها : كتاب معانى القرآن ، وكان ابن الأنبارى يقول : « ما أسيت على شيء كما أسيت على تركى السماع لكتاب معانى القرآن من أبى العباس أحمد بن يحيى ، وانما كان يقطعنى عنه الحديث » . (٢)

ولم يكن أبو العباس مبتدعا ، ولم يكن له أثر فى تكميل المذهب الكوفى أو تهذيب طريقته ، وإنما كان له فضل استمراره ، والترويج له .

ويخيل الى أن المدرسة كانت قد تمت واكتمل نضجها ، وارتسم منهجها فى عهد الكسائى ، والفراء . كان الكسائى مشترعاً ، والفراء منظماً ، فلما انتهت الى أبى العباس كانت حدودها مرسومة ، ومنهجها مقوماً ، وكان ثعلب حارسها الأمين .

وكان حفظه الكثير ، وروايته ، وتقيده ، من العوامل التى خدمت قضية الكوفة ، وحفظت أقوال أئمتها ، واستطاعت بهذا أن تستمر ، وان تجد لها أتباعاً وأنصارا في خلال العصور التالية ، وأن تزاحم مدرسة البصرة بالرغم من كثرة أنصارها ، وإعجاب الدارسين إذ ذاك بمنهجها . فكثير من مصنفات أئمتها الأولين ضاع ، ولم يبق منه إلا عنوانه ترددة كتب التراجم والطبقات ، ولكن تلك المصنفات وجدت فى شخص ثعلب حافظا لها ، حريصاً على نشر ما كان فيها ، ووجدت من تلاميذه سواه منهم من بقي على منهجها ومن حاول التوفيق بينه

---

(١) معجم الأدباء جـ ٥ ص ١٢٠

(٢) طبقات الزبيدى « سلمة بن عاصم »

وبين أهل البصرة ، حفظة لأكثر الأقوال ، مدونين ذلك في مصنفاتهم ، منقولة منها إلى كتب النحاة المتأخرين .

كان تتبع ثعلب ، وسعة حفظه وإحاطته بأقوال شيوخه ، قد أنطق المبرد بفضله ، فقد كان يقول : « أعلم الكوفيين ثعلب ، فذكر له الفراء فقال لايعشره » . (١)

وكان التاريخي يقول : « ثعلب فاروق النحويين ، والمعاير على اللغويين من الكوفيين والبصريين ، أصدقهم لساناً ، وأعظمهم شأناً ، وأبعدهم ذكراً ، وأرفعهم قدراً ، وأصحهم علماً ، وأوسعهم حلماً ، وأثبتهم حفظاً ، وأوفرهم حظاً في الدين والدنيا » . (٢)

* * *

منهجه في دراسة النحو :

قلت إن ثعلباً طراز كوفي أصيل ، ومنهجه هو منهج الكوفيين العام ، من اعتماد على المسموع من كلام العرب ، وميل عن التفلسف في القضايا النحوية ، ولهذا قيل : « لم يكن مستخرجاً للقياس ، ولا طالبا له ، وكان يقول : قال الفراء وقال الكسائي ، فاذا سئل عن الحجة والحقيقة لم يأت بشيء » . (٣)

يتضح هذا مما جاء في مجالسه في رده على أبي عثمان المازني ، فقد أملى أبو العباس ثعلب على أصحابه ما نصه :

« قال المازني في قول الشاعر :

فكفى بنا فضلا على من غيرنا ... حب النبي محمد إيانا

إنما تدخل الباء على الفاعل . وهذا ايضاً شاذ أن تدخل الباء على الفاعل ،

---

(١) انباه الرواه على أنباه النحاه ج ١ ص ١٤٢

(٢) انباه الرواه على أنباه النحاه ج ٢ ص ١٤٩ ، ١٤٢

(٣) انباه الرواه ج ١ ص ١٤٤

obeikandl.com

ولكن قد حكي هذا على المفعول .

قال أبو العباس: وكل هذا غلط . العرب تقول : كفى بزيد رجلا ، وكفى زيد رجلا ونعم بزيد رجلا ، ونعم زيد رجلا . وحكى الكسائى عن العرب : مررت بأبيات جاد بهن أبياتاً ، وجاد أبياتاً . وجدن أبياتاً ، ثلاث لغات . وكذا مررت بقوم نعم قوماً ، ونعم بهم قوما ، ونعموا قوماً ، وهذا كثير في كلام العرب . لا يقال شاذ » . (١)

فلم يمن ثعلب في هذه المسألة بالأصول الموضوعة التى تمسك بها المازنى ، ووصف قول الشاعر من أجلها بالشذوذ ، وإنما راح يؤيد قول الشاعر بلغات مسموعة من العرب ، روايا هو ، أو سمعها ، وسمعها الكسائي ، واعتبر وجودها رداً على المازني ، ولم نلمس في رده أثراً لمنطق ، ولا ظلا لفلسفة ، إنما هو المسموع ، والمسموع وحده .

وهذا هو جانب الضعف فيه إذا جمعه بالمبرد مجلس المناظرة ، فلا يزال المبرد يقيس ، ويعلل ، ويفلسف المسائل ، حتى يحكم له الناس ، لا معرفة بصحة ما يقول ، ولكن إعجاباً بتصريفه الكلام وتشقيقه ، واستخراج الأوجه العقلية الممكنة منه . وكان الدارسون منهم مفتونين إذ ذاك بهذا المنهج الفلسفي ، لشيوع المذاهب الفلسفية ، وطغيان منهج أصحاب الكلام في البيئات الدراسية .

وانظر الآن ماذا كان من رد المبرد على ثعلب ، حين سأل ثعلباً عن همزة بين بين أساكنة هى أم متحركة . قال ثعلب : لا ساكنة ، ولا متحركة ، يريد أن حركتها روم . فقال المبرد : « قوله : لا ساكنة قد أقر أنها متحركة ، وقوله لا متحركة ، قد أقر أنها ساكنة ، فهى ساكنة لا ساكنة ، ومتحركة لا

---

(١) مجالس ثعلب ص ٣٣٠ . ووردت حكاية الكسائي وما بعدها فى « معاني القرآن » ورقة ٣٨

متحركة . » (١)

بمثل هذا الأسلوب المنطقي العقلي كان المبرد وأمثاله يخضعون الاساليب اللغوية ، ويضعون أصول النحو وقواعده ، وبهذا الأسلوب حكم له محمد بن عبدالله بن طاهر بالفضل ، فقربه منه وأدناه من مجلسه .

وفي هذا المجلس نفسه ظهر الفرق بين المنهجين واضحاً ، فقد سألهما ابن طاهر عن قول الله عزوجل : « إذ قالوا لقومهم إنا برءاء منكم » كم فيه لغة ؟ قال المبرد : قلت : برءاء على مثال كرماء ، وبراء على مثال كرام ، . فقال ثعلب : وبراء ، (بضم الباء) أيها الأمير . « فقال : ما تقول يا محمد ؟ فقلت (والقائل المبرد) : أيها الأمير ، سله ، من أين . قال : قال من أين قلت ؟ قال (والقائل ثعلب) : حدثني سلمة عن الفراء أنه سمع أعرابية تقول : ألا في السوة انتنه . تريد : ألا في السوءة انتنّه . فطرحت الهمزة » . (٢)

أما المبرد فقد انتهزها سانحة للفوز في هذا المجلس ، فأخذ يأتي بالحجة تلو الحجة ، وبالدليل بعد الدليل ، وكان آخر ما قال : لا يترك كتاب الله ، وإجماع العرب لقول أعرابية رعناء » . (٣)

* * *

وقد روت كتب النحو لثعلب أقوالا كثيرة ، متابعاً شيوخه في بعضها ، ومنفرداً في بعضها الآخر ، وقد ضمن مجالسه كثيراً من الآراء النحوية على المذهب الكوفي ، وكان يعرض لآراء بصرية في بعض المسائل ، ليرد عليها ، ويدفعها . ومن ذلك قوله :

---

١ - مجالس اللغويين والنحاة (لوحة رقم ٤٥)
٢ - نفس المصدر .
٣ - نفس المصدر .

« قال أبو عثمان المازنى : إذا قلت : إن غدا يجيء زيد ، فهو على إضمار الأمر ، وتضمر الهاء ، فترجع إلى غير شيء . قال أبو العباس : وكل هذا غلط . العرب تقول : إن فيك يرغب زيد ، ولا يحتاج إلى إضمار الأمر لأن المجهول لا يحذف ومن قال : إنه قام زيد ، لم يحذف الهاء ، لأن الهاء دخلت وقاية لفعل ويفعل ، فاذا أسقطت كان خطأ » . (١)

وينبنى هذا الذى ذكره ثعلب على أن (إنّ) قد يبطل عملها ، ثم يستفاد منها التأكيد ، كما تزاد أدوات أخرى لهذا الغرض ، وهو في هذا يتابع الكسائى والفراء فى إجازة ذلك ، فقد حكى الكسائى والفراء جميعاً : « ان فيك زيد لراغب » ، وقالا : « بطلت إن » لما تباعدت . (٢)

وربما تفرد في أقوال خالف فيها جمهرة الكوفيين ، فقد كان يذهب إلى أن الفعل في قولهم : جئت لأكرمك ، وسرت حتى أدخل المدينة « منصوب باللام وحتى لقيامها مقام أن » (٣)

ولم يقل بهذا الكوفيون ، ولا البصريون . أما الكوفيون فيقولون بأن النصب إنما هو باللام وحتى أنفسها ، وأما البصريون فيقولون بأن النصب بأن مقدرة بعدها .

وكان الكوفيون يعللون حذف الواو فى « يعد ويزن وأمثالها » ، وثبوتها في يوجل بأنه للفرق بين المتعدى واللازم ، (٤)

أما ثعلب فقد تابع البصريين في هذا ، فقد أملى على أصحابه في مجالسه ما نصه : « وعد يعد ، ووزن يزن . كان يوزن ويوعد ، فلم يجتمع الواو مع

---

(١) مجالس ثعلب ص ٣٢٩

(٢) مجالس ثعلب ص ٨٩ .

(٣) شرح المفصل لابن يعيش ج ٨ ص ٢٠ .

(٤) شرح الرضى على الشافية ص ٢٨٣ .

الكسرة والياء ، ثم بنوا الفعل على هذا فقالوا : يزن .. ووجل يوجل ، ثبت الواو : لأن بعده فتحة ، فلم يجتمع ما يستثقل » . (١) وهذا هو الأصل الذي كان البصريون يستندون إليه في حذف الفاء في المضارع من المثال .

وقد تابع البصريين أيضاً في ذهابهم إلى جواز نحو قولهم : « ما طعامك أكل إلا زيد » .. أما الكوفيون فكانوا لا يجوزونه ، محتجين أن الأصل في زيد « أن لا يكون هو الفاعل ، وانما الفاعل في الأصل محذوف قبل إلا ، لأن التقدير فيه : ما أكل أحد طعامك إلا زيد » . (٢)

وخالف الكوفيين والبصريين جميعاً في نحو قولهم : « طعامك ما زيد آكلا » فقد كان يذهب إلى أنه جائز من وجه ، فاسد من وجه آخر .

أما الكوفون فكانوا يذهبون إلى جوازه مطلقاً ، وأما البصريون فكانوا يذهبون إلى عدم جوازه مطلقاً .

وبيان ما ذهب إليه ثعلب : أنه « إذا كانت ردا لخبر جاز التقديم ، وإن كانت جوابا للقسم لم يجز » . (٣)

وثعلب في كتاب المجالس كثيرة الرواية عن الفراء ، وتعليل هذا واضح لما سبق من تلمذته له في كتبه ، إذ كان يحفظ كتب الفراء كلها ، بحيث لم يبق من مسائله مسألة إلا حفظها ، وهو لهذا أيضاً يميل إلى رأى الفراء غالباً ، حيث يختلف الكسائي والفراء ، ويدفع رأى الكسائي . (٤)

وهذا يؤيد زعمي فيما سبق - في منزلة الفراء عند الكوفيين

---

(١) مجالس ثعلب ص ٤٢٨ .
(٢) الانصاف (مسألة ٢١) .
(٣) الانصاف - مسألة ٢٠ - .
(٤) مجالس ثعلب ص ٤٢٢ ، ٥١٤

واهتمامهم بأقواله ، وأن المذهب الكوفي ينبني أكثر أسسه على أقواله وآرائه .

* * *

تلاميذه

وتلاميذ ثعلب كثيرون ، ذكرت فيما مر جماعة منهم ، وذيلت اسمه بأسمائهم في الجدول السابق ، ولم يقم هؤلاء جميعاً على ما تلقوه من أبي العباس ثعلب فان أبا إسحاق الزجاج كان واحداً منهم ، ولكنه انحاز إلى حلقة المبرد ، ولم يعد إلى حلقة ثعلب ، وعد بعدئذ من أتباع المدرسة البصرية ، وقد مر بنا قصة ذهابه إلى المبرد لمناظرته وإسكاته .

قال عنه أبو النديم : إنه « أقدم أصحاب المبرد قراءة عليه ، وكان من يريد أن يقرأ على المبرد يعرض عليه أولا » . (١)

وعده الزبيدي في الطبقة التاسعة من نحاة البصرة ، ومن أصحاب المبرد وترجم له أبو البركات بن الانباري ، فذكر أنه لازم أبا العباس المبرد ، ورد على ثعلب في الفصيح (٢)

وذكره السيرافي فقال : « ومن أصحاب أبي العباس محمد بن يزيد : أبو إسحاق إبراهيم بن السري الزجاج ، وابو الحسن بن كيسان ، وإليهما انتهت الرياسة في النحو بعد أبي العباس ، محمد بن يزيد ، غير أن ابا إسحاق كان أشد لزوماً لمذهب البصريين ، وكان ابن كيسان يخلط المذهبين » . (٣)

وأن أبا الحسن بن كيسان ، وأبا موسى الحامض ، وعلى بن سليمان الاخفش ، وإبرهيم بن عرفة ، نفطويه ، كانوا ممن خلط المذهبين .

---

١ ـ فهرست ابن النديم ص ٩

٢ ـ نزهة الالباء ص ٢٩

٣ ـ أخبار النحويين البصريين ص ٨ ١

ولم يقم من هؤلاء الذين تلمذوا للثعلب على النهج الكوفي إلا أبو عمر الزاهد وأبو بكر بن الانباري ، ممن وقفت عليهم من تلاميذه .

أما أبو عمر الزاهد فليس بشيء . وسمع ابن النديم جماعة من العلماء يضعفون حكايته ، وينتسبون به إلى التزيد .

وأما أبو بكر بن الأنباري فهو الذي ترسم خطا الكوفيين ، وتأثر أستاذه ثعلبا ، وعرف بتعصبه لمدرسته ، ونقوله الكثيرة عن شيوخها .

ولا يمكن تجاهل ابن الأنباري ، وهو كوفي نابه ، كثير الحفظ ، واسع الاطلاع ، فقد أكثرت كتب الطبقات والتراجم من تقريظه والثناء عليه ، واتفقت كلمتها على أنه كان أكثر الكوفيين حفظا للغة والشواهد ، حتى قال أبو علي القالي : « كان ابن الأنباري يحفظ ثلاث مائة ألف بيت شاهد في القرآن ، وكان أحفظ من تقدم من الكوفيين » . (١)

وفي شذرات الذهب عن محمد بن جعفر التميمي أنه قال : « ما رأينا أحفظ من ابن الأنباري ، ولا أغزر بحرا : حدثوني عنه أنه قال : أحفظ ثلاثة عشر صندوقا » . (٢)

وروى عنه الدار قطني وجماعة ، وكتب عنه ، وأبوه حي ، « وكان يملي في ناحية من المسجد ، وأبوه من ناحية أخرى ، ومرض فعاده إصحابه ، فرأوا من انزعاج والده أمرا عظيماً ، فطيبوا نفسه ، فقال : كيف لا أنزعج ، وهو يحفظ جميع ما ترون ، وأشار إلى خزانة مملوءة كتبا » . (٣)

أما منزلته النحوية ، فقد حددها أبو الطيب ، كما مر ، فلم يذكره في أئمة

---

(١) غاية النهاية لابن الجزري ج ٢ ص ٢٣٠

(٢) شذرات الذهب لابن العماد ج ٢ ص ٣١٥ .

(٣) معجم الأدباء ج ١٨ ص ٣٠٦

الكوفيين ، لأنه عنده من أصحاب الأشعار (٢) والحفظة

ويشهد لأبي الطيب اللغوى قلة ما روت له كتب النحو من أقوال نحوية ، وهو في أكثر هذه المرويات كان يقول بمقالة أحد شيوخ الكوفة ، أو كان يروى عنه ، وما كان له خاصة فنادر .

فما كان يتابع به أحد الأئمة ما ذهب إليه من تجويزه تأخير الفاعل إذ حصر المفعول ، ويمنع تقديمه إن حصر هو .

وليس هذا الرأى له، فقد سبقه الفراء إليه ، ولكنه قرن اسمه باسم الفراء حين نقل هذا الرأى (١) ، وسبق الفراء إليه يعنى أن ابن الأنبارى كان مقلداً فيه حسب .

ومنه ما ذهب إليه من جواز وقوع (أن) المصدرية بعد فعل علم غير مؤول ، وهذا الرأى رأى الفراء أيضاً ، وأن قرن الرضى اسمه باسم الفراء . (٢)

ومن مروياته التي كان يستند إليها في اسمية «نعم وبئس» ، ما حكاه عن ثعلب عن سلمة عن الفراء : «أن أعرابياً بشر بمولودة ، فقيل له : نعم المولودة مولودتك . فقال : والله ما هى بنعم المولودة ، نصرتها بكاء ، وبرها سرقة » . (٣) وكان الفراء قد استند إليها في ذهابه إلى اسمية « نعم وبئس » من قبل .

---

(١) سبق أن مرت بنا رواية أبي الطيب اللغوى هذه وكان النص الذى نقله السيوطي عنه : «رواة ، أصحاب أسفار» مصحفا ، يدل على تصحيفه -١- سياق النص و -٢- ما جاء في نسخة دار الكتب المصورة لمراتب النحويين فقد جاء النص فيها كما يأتي : «وأما القاسم الأنبارى ومن روى عنه مثل أبي عبيد الملقب أبا عصيدة فإن هؤلاء رواة أصحاب أشعار لا يذكرون مع من ذكرنا» ص ١٥٢ مراتب النحويين .

(٢) همع الهوامع جـ١ ص١٩١ .

(٣) شرح الرضى على الكافية جـ٢ ص٢٢٣ .

(٤) الإنصاف ص٦٧ .

ومن أقواله التي أحسب أنه تفرد بالقول بها ما زعمه من أن (بين) تكون شرطية إذا وقعت في أول الكلام . (١)

وما زعمه من جواز الرفع في صفات المنادى إذا كانت هذه الصفات مضافة إضافة معنوية ، نحو : يا زيد ذو المال ، ويا بكر أبو عمرو ، ويا تميم كلكم ، كما يجوز عند الجمهور أن ترفع الصفات المفردة ، نحو يا زيد الظريف ، أو المضافة إضافة لفظية ، نحو : يا زيد الحسن الوجه ، أو الشبيهة بالمضاف ، نحو يا هؤلاء العشرون رجلا . (٢)

فهذه الأقوال القليلة ، وهي أكثر ما وقفت عليه من أقواله لا تكفي لوضع صاحبها في درجة الشيوخ ، الذين أقاموا بأعمالهم مدرسة الكوفة ، وقد مضى الكلام في هذا فلا حاجة بنا إلى إعادته .

---

(١) همع الهوامع جـ ١ ص ٢١٩ .

(٢) شرح الرضي على الكافية جـ ١ ص ١٣٧